الصفقة الملعونة

الصفقة الملعونة

فريق 666

قصص

تدقيق لغوي:محمود ربيع

تصميم الغلاف: محمود عبد الناصر

رقم الإيداع: 2022/29221

I.S.B.N:978- 977-86500-6-8

الطبعة الأولى2023م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

المدير التنفيذي : ثائر عزت

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

فريق 666

الصفقة الملعونة

قصص



(القلب الحديدي)

وائل عبد المجيد

«لقد أخبرتُك مسبقًا بالتوقف عن التدخين.. حالة القلب سيئة للغاية؛ فهو يعمل بكفاءة 30٪، لابد من عملية زرع قلب؛ لأنني أخشى أن يتوقف القلب في أية لحظة".

هتف الطبيب (مرسي) مخاطباً السيد (بديع)، الذي ذوَى حاجبيه وهو يتنفس في صعوبة كبيرة، ثم قال بصوت منخفض:

- ألا يوجد حل آخر سوى زراعة قلب؟!

مط شفتيه قائلاً:

- للأسف الشديد لا يوجد، من فضلك توقف عن التدخين فورًا، ولا يجب عمل مجهود، وإلا...

صمت فجأة؛ فهو يعلم أن الرسالة وصلته، فغر (بديع) فاهه؛ فهو لا يتوقع أن تكون هذه هي النهاية، فهو يمتلك من الأموال ما إن جمعها لا تنضب لمدة مائة عام؛ فهو يملك العديد والعديد من الشركات، تجاوزَت ثروته مليارات الدولارات، كان يعتقد أنه لن يموت في سن السابعة والأربعين؛ فهو ما زال صغير السن، لم يستمِع لنصيحة الأطباء ظنًّا منه أنه يستطيع العلاج في أكبر مستشفيات العالم، ثم قال في فزع:

- متى يجب زرع القلب؟! ومن هو المتبرع؟!

أجابه سريعًا:

- فورًا وبدون تأخير، الوقت ليس في صالحك، لكن هناك عقبة مهمة للغاية؛ فالقلب لا يتم التبرع به، يجب أن تبحث عن شخص متوفّي، كما

يجب أن يكون هناك مو افقة بالتبرع بأعضائه بعد الوفاة، ويجب أن تتم بعض التحاليل الطبية لكي يتم اختيار القلب على أساسها، الموضوع ليس بهذه السهولة التي تتصورها؛ فالقلب ليس سلعة تباع وتُشترى.

ارتسمت علامات الذهول والدهشة على وجهه؛ فهو لم يكن يتوقع أن الموضوع بهذه الصعوبة، لقد كان يظن أن كل شيء قابل للبيع وللشراء، قابل للتفاوض ما دام سيدفع الثمن المناسب، لكن موضوع القلب هذا لم يكن في الحسبان.

هتف بصوت مخنوق:

- ما الحل إذًا؟! ماذا أفعل؟!

أجابه:

- سنراسل كل مستشفيات أوروبا، وسنُرسِل لهم كافة التحاليل الطبية الخاصة بك، وعندما يتوفر القلب المناسب سوف يتم إخطارنا، وعند...

قاطعه في فزع:

- ما كل هذه الإجراءات؟! هل عضلة القلب ستحتمل كل هذا الوقت؟! فلنفترض عدم وجود القلب المناسب، ماذا أفعل حينها؟!

مط شفتيه قبل أن يقول في حزن:

- هذه هي الاجراءات المتبعة.

نظر إليه في جزع، ثم قال:

- حسنًا سوف أقوم باللازم، سوف أُحضِر لك القلب المناسب.

ثم انصرف، وبعد ذلك ذهب إلى الشركة، وطلب حضور مدير أعماله (نديم)، وعندما حضر شرح له ما حدث؛ فقال له:

- لا تقلق يا سيدي، سوف أقوم باللازم، وخلال أسبوع سيكون القلب المناسب موجودًا، لكن ربما يكلفك بضعة ملايين من الدولارات، هل...

قاطعه قائلاً:

- لا تُشغل بالك بالأموال، هذه صحتي، معك ميزانية مفتوحة.

انصرف (نديم) على الفور وهو يفكر في الحل، حتى هداه تفكيره إلى حل؛ فانطلق سريعاً إلى طبيب الشركة، وطلب منه عمل فحوصات وتحاليل لكافة العاملين بالشركات، على أن تتم في خلال يومين على أقصي تقدير، وبعد يومين استلم كافة التحاليل وذهب إلى الطبيب المعالج، وجلس معه والطبيب يقارن بين تحاليل (بديع) وكافة التحاليل، حتى توصّل إلى توافق بينه وبين اثنين من العاملين، لكنه يرجّح شخصًا واحدًا؛ لأن الشخص الثاني قلبه يعمل بكفاءة تبلغ 80٪، أما الأول فقلبه يعمل بكفاءة 100٪، ثم هتف الطبيب متسائلًا:

- كيف ستقنع هذا الشخص بالتبرع بقلبه؟!

ابتسم ابتسامة غامضة وهو يقول:

- دع هذا الأمر لي، المهم أنّك تنتهي من كافة التحاليل وسوف أقوم باللازم، وسوف يحضر إليك بعد غدٍ على أقصى تقدير؛ لتقوم بإجراء العملية.

ثم انصرف وذهب بعد ذلك إلى (عادل)، وهو يقول بلهجة ودودة:

- اترك ما في يدك، هناك موضوع أودّ التحدث معك عنه، لكن وحدنا.

أجابه سريعًا:

- هل أخطأتُ يا سيدي؟!

ابتسم قائلاً:

- على العكس، أنا أودّ مكافأتك، هيا بنا.

انصرف الاثنان وجلسا في مكان خالٍ، ثم شرع (نديم) في إخراج شِيك وقال:

- ما رأيُكَ أن تكسب مبلغ ثلاثة ملايين جنيه؟!

فغر (عادل) فاهه، ثم قال في حيرة:

- كيف أحصل على هذا المبلغ؟! لا يوجد ما أستطيع تقديمه مقابل هذا المبلغ.

قال له في اهتمام:

- بل يوجد.

عقد حاجبيه في حيرة شديدة، وقال:

- ما هو؟!

أجابه سريعًا:

- قلبُك!

ابتسم (عادل) وهو يقول:

- لا تقلق يا سيدي؛ قلبي مع الشركة، وأخاف على...

قاطعه قائلاً:

- يبدو أنّك لم تفهمني، أنا أريد قلبَكَ بالفعل وليس مجازاً.

ارتسمت علامات الذهول والدهشة على وجهه، قبل أن يستعيد رباطة جأشه ويقول بصوت مبحوح:

- قلبي أنا؟! لماذا؟!

أجابه سريعًا:

- ليس هذا من شأنك.

عقد حاجبيه وهو يغمغم:

- لكنه قلبي، والقلب لا يوجد منه قطعتان في الجسد، فإذا ما تبرعتُ لكَ بقلبي فهذا معناه الموت، و أنا...

قاطعه في ضجر:

- وهل هذه تسمى حياة؟! سوف يرثُ أبناؤكَ ثروة طائلة، وسوف يُصرَف لهم معاشك كاملاً، ويتمتّعون بصحة جيدة وحياة سعيدة.

أجابه دون تفكير:

- لكنهم سعداء بوجودي معهم.

برقت عيناه، وقال بنبرة حادة:

- حتى إذا علِمتَ أن (بديع) بك يحتاج إلى زرع قلب، وقد وقع الاختيار عليك لتَماثُل قلبيكما، هل ستتخلّى عنه؟!

فكر قليلًا، ثم قال:

- بالطبع لا يمكن أن أتخلّى عنه، لكنه يملك مالًا يستطيع به شراء الكثير من القلوب، إلا أنا.. فهذا حكم بالإعدام، وأطفالي ما زالوا صغارًا ويحتاجون إليّ، معذرة يا سيدي فأنا أرفض بشدة.

احتقن وجهه ورمَقَه بنظرة مختلفة نوعاً ما، ثم قال:

- حسنًا، يمكنك نسيان ما حدث، ولا يجب عليك التفوّه بكلمة واحدة مما حدث بيننا، سوف أتدبّر أمري، هيا عُد إلى عملك.

عاد بالفعل إلى عمله، أما هو فأخرج هاتفه وطلب (عليوة)، ثم قال له باهتمام:

- هناك مهمة عاجلة للغاية، يجب تنفيذها غدًا على أقصى تقدير، هل تستطيع تنفيذها؟!

أجابه دون تفكير:

- بالطبع يا سيدي.

أغلق الهاتف المحمول و انصرف؛ ليذهب إلى (بديع) ويشرح له ما حدث، فقال له في لهفة:

- تصرف كيفما تشاء، لك مطلق الصلاحية، المهم أن تُحضِر لي القلب.

برقت عيناه وقال في ثقة:

- لا تقلق يا سيدي، سوف أحضر إليك القلب غدًا.

انطلق على الفور، وذهب إلى (عليوة) وشرح له بسرعة، ثم قال في صرامة:

- هذه المرة يجب إحضاره على قيد الحياة، هل فهمت؟!

أومأ برأسه إيجابًا، فقال له في صرامة:

- يجب أن يكون في الفيلا اليوم.. هيا انصرِف.

بعد مرور أكثر من ستّ ساعات، رن جرس الهاتف المحمول؛ فأجاب (نديم) في لهفة:

- هل أحضرته؟!

قال له في ثقة:

- نصف ساعة وسوف أحضر إليك.

بالفعل انطلق ليجد سيارة وبها (عادل) فاقد الوعي ومغطى بملاءة، فنقده ظرفًا به النقود، ثم قاد السيارة إلى المستشفى، ليجد في انتظاره الطبيب ومعه (بديع)، وما إن شاهده حتى هتف في لهفة:

- هل أحضرت المطلوب؟!

أجابه بكل فخر:

- بالطبع يا سيدي، هل كنت تعتقد أني سوف أفشل؟!

هتف قائلاً:

- بالطبع لا، أنا أعلم مدى خوفك الشديد على حياتي، وأعلم...

قاطعه الطبيب:

- لا يوجد وقت للمجاملات، العملية سوف تستغرق وقتًا طويلًا، هيا بنا.

تم تجهيز (بديع) و(عادل)، وبعد فترة طويلة تم الانتهاء من نقل القلب، وبعد استعادته لجزء كبير من صحته دخل عليه (نديم)، وما أن رآه حتى تهلّلَت أساريره، وقال في سعادة:

- حمدًا لله على سلامتك يا سيدي، لقد استعدتَ عافيتك.

ابتسم وهو يقول:

- شكرًا لك على مجهودك المميز، لن أنسَى أنّك صاحب الفكرة الرائعة، بالمناسبة هناك مكافأة مالية لك تبلغ خمسة ملايين جنيه، وأيضًا لا تنسَى أن ترسل شيكًا بمبلغ خمسين ألف جنيه لزوجة (عادل)، كما يتم صرف معاشه الشهري، بالمناسبة أين سيذهب جسده؟!

برقت عيناه من الفرحة وقال:

- يا لكرمك يا سيدي! أشكرك، لقد احتفظ به الطبيب، وقال إنه يحتاج كل جزء منه.

فكر قليلًا، ثم قال:

- لا يضير الشاةَ سلخُها بعد ذبحها.

مرت الأيام، وبعد قضاء فترة طويلة خرج إلى قصره الريفي ليكمل فترة النقاهة، وبعد أن ذهب (نديم) إلى زوجة (عادل) ليواسيها، بعد أن تم العثور على بقايا جثته، مع وعد بصرف راتب شهريّ لهم، ذهب إلى منزله ونام بعد أن أتم مهمته.

أنت..

أنت من سلبتَ روحي.

هب (نديم) من نومه على هذا الصوت، كان يتصبّب عرقًا؛ فالتفَتَ يمينًا ويساراً وهو يقول:

- يا له من كابوس مزعج.

إلا أنه سمع الصوت مرة أخرى:

أنت من سلبتَ روحي...

أنت قاتل بلا رحمة..

تلفّتَ مرة أخرى لعله يجد أحدًا؛ فأخرج مسدسه وهَبّ و اقفًا، كأنما استمد قوته منه، ثم فتح أنوار الشقة كلها، لم يكن هناك أحد، تنفّس الصعداء وجلس على أقرب مقعد وهو يضحك قائلاً:

لا بُدّ أن الكابوس أثّر على عقلي؛ فظننتُ أنني سمعت جلبة بالخارج، رن جرس الهاتف المحمول، بمجرد أن شاهد الاسم أجاب قائلاً:

- كيف حالك يا سيدي؟ ما الأمر؟

قاطعه في فزع:

- اترك ما بيدك واحضر لي الآن.

ثم أغلق الهاتف، فقام سريعًا وارتدى ملابسه و انطلق تجاه القصر، وبينما هو يدندن بأغنية مشهورة سمع صوتًا يأتي من خلفه:

قاتل..

لقد سلبتَ روحي.

ضغط على المكابح، والْتفَتَ سريعًا لكنه لم يجد أحدًا في المقعد الخلفي.

هبط من السيارة وهو يمسك المسدس في قوة، إلا أن يديه كانتا ترتعشان، كان يتصبب عرقًا ويتلفّت حول السيارة.. لا يوجد أحد، استجمع شجاعته وركب سيارته و انطلق سريعًا، كان ينهب الأرض نهبًا.

قبل أن يصل إلي القصر شاهده أمامه.. (عادل) بشحمه ولحمه!

وقلبه ينزف دمًا يغمر جسده، وهو يقول بلهجة صارمة:

- قاتل.. لن أنسى ما فعلته.

وضع قدمه على دواسة البنزين وضغط عليها بأقصى قوة، و انطلقت السيارة بأقصى سرعة، فجأة وجد أمامه شجرة كبيرة؛ فحاول تفاديها إلا أنه فشل، فانقلبت السيارة، حاول أن يدفع جسده خارج السيارة إلا أن قدمه كانت مكسورة؛ فلم يستطع تحريكها.

كانت الدماء تنزف من كل مكان في جسده، إلا أنه تماسك وحاول الصراخ حتى يسمعه أحد، لحسن الحظ سمع وقع أقدام، وعندما اقترب منه صرخ وهو يقول طلبًا للمساعدة:

- من فضلك أنقذني.

سمع صوتًا يجيبه:

- ولماذا لم تتركني أعيش مع أطفالي؟!

على الرغم من الجروح التي تملأ جسده، إلا أنه انتفض وحاول جاهدًا أن يدفع جسده خارج السيارة، كان الفزع يسيطر عليه.

سمع وقع أقدامه يقترب أكثر وأكثر، ثم وجده أمامه وجها لوجه.. الدماء تنزف من رأسه وفمه، ثم اقترب منه وهو يقول بلهجة حادة:

- هذا القلب ملكٌ لي.

ثم مد يده..

«سيد (بديع)»

هتف الضابط بصوت عالٍ، ثم تقدم نحوه وهو يجلس في شرفة القصر، التفَتَ إليه وهو يقول بلهجة ودودة:

- تفضل يا سيدي.

جلس الضابط وعلَت وجهه نظرة حزن، فقال (بديع):

- ماذا حدث يا سيدي؟!

نكس رأسه والحزن يكسو ملامح وجهه، ثم قال بصوت منخفض:

- لقد وقعت حادثة غريبة لمدير أعمالك، لقد اصطدم بشجرة و انقلبت سيارته.

صدرت شهقة من (بديع) غصبًا عنه..

ثم أردف الضابط قائلاً:

- لكن هناك شيء غريب للغاية، لقد انتزع أحدٌ قلبه من صدره، و أيضًا الكبد والكليتين.

فغر (بديع) فاهه، و اكتست ملامحه الذهول والدهشة.

قبل أن يهب من مقعده و اقفًا، ويتراجع إلى الخلف حتى أنه اصطدم بمقعد وكاد أن يقع، لولا أن أمسكه الضابط الذي قال:

- تمالك نفسك يا سيدي، لا بد أنه ذئب أو أسد جبلي، أو أحد الحيو انات التي يزخر بها الجبل.

ثم أمسك يده وقاده إلى مقعده و انصرف، أما هو فقد انهارت أعصابه تمامًا، جلس وحده نحو نصف ساعة، ثم قام ودخل غرفته، لقد كان (نديم) ذراعه اليمنى، كان يعتمد عليه في كل شيء، هل سيجد من يحل مكانه بهذه السهولة؟! استسلم لأحز انه ونام، وبعد أن استيقظ طلب تحضير الطعام، وبعد ذلك هبط يتمشّى وسط الزراعات، عندما سمع صوتًا يأتي من خلفه:

- قاتل بلا رحمة.. لقد سلبتَ روحي.

التفت سريعًا خلفه، لكنه لم يجد أحدًا؛ فهز رأسه ربما اختلط عليه الأمر، ثم وجد شابًا يأتي من بعيد في مواجهته مباشرة، لا يدري لماذا انقبَض قلبه؟!

لكنه واصل المشي والشاب أيضًا، حتى وقف أمامه على بعد ما يقرب من عشرة أمتار، انتفض جسده في قوة، كانت الدماء تنزف من رأسه وفمه وموضع القلب فارغ.

هتف بصوت عميق:

- قاتل.. أنت من سلبتَ روحي.

وقع (بديع) على الأرض، وهو يستعطفه قائلًا:

- أرجوك، أنا لم أكن أعلم عن الأمر شيئًا.. أرجوك دعني أعيش.. دعني...

بتر عبارته حينما وجده يقترب منه.

حاول التراجع للخلف، إلا أنه انقَضّ عليه وهو يقول بلهجة صارمة:

- هذا القلب ملكًا لي، و أنا لن أسمح بنقله لك.

صرخ صرخة مدوية.

ثم مد يده..

هتف الضابط بصوتٍ عالٍ:

- ألم تشاهد ما حدث؟!

أجابه الغفير:

- لا يا سيدي، لقد كنتُ أحرسُ الباب الأماميّ.

نظر إليه الضابط، ثم أمره بالانصراف، والتفتَ إلى مساعده وهو يقول متسائلًا:

- لا اعلم ما السبب لهذه الجرائم؟! لكن مؤكد هناك صلة بينهم، خاصة هذه الجرائم التي حدثت منذ قليل وتعدَّت عددها سبعة جرائم، وجميعها تم انتزاع القلب، وخاصّة أن ذلك الطبيب الشهيرتم انتزاع قلبه هو الآخر، لا بُدّ أنه قاتل متسلسل سوف نواصل البحث علّنا نجد الجاني.

(عروس النيل)

وائل عبد المجيد

دقَّت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، فهَبّ (جمال) من نومه ومشى على أطراف أصابعه وخرج من غرفة النوم، وبدأ يرتدي ملابسه، رنّ جرس الهاتف المحمول، وما أن شاهد الاسم المدوّن حتى ردّ قائلًا:

- معذرة يا (كامل) لقد تأخرت، سوف أهبط حالًا.

أغلق الهاتف وأكمل ارتداء ملابس الصيد، وهبط ومعه مستلزمات الصيد، وجد أمامه الغفير(عاطف)؛ فأخذ منه الصنارة وهو يقول:

- هل يوجد شيء آخر يا سيدي؟!

أجابه سريعًا:

- لا، سوف نذهب حالًا.

ثم وضع عدة الصيد البحريّ في السيارة وانطلق تجاه مياه النيل، وبعد عدة دقائق توقّفَ أمام الشاطئ، وهبط الغفير وقام بنقل كل المستلزمات إلى مركب الصيد استعدادًا للمغادرة.

رن جرس الهاتف؛ فنظر (جمال) إلى الاسم المدون، كانت زوجته (نجلاء)، فأجابها قائلًا:

- مرحبًا يا زوجتي العزيزة.

قالت بنبرة حادة:

- هل ذهبتَ مرة أخرى إلى الصيد؟!

أجاب في هدوء:

- أنتِ تعلمين أنّ هذه هوايتي الوحيدة، لم أشأ إيقاظك؛ فأنا أعلم أن الوقت بعد منتصف الليل، وأنتِ مرهقة بعد يومِ عملٍ شاق.

هتفت في حنق:

- مياه النيل خطر في ذلك الوقت، احرِص على عودتك سالمًا مُعَافى.

ثم أغلقَت الهاتف، وانطلق المركب يقوده (عاطف)، وجلس (جمال) في الخلف وهو يقول:

- انطلق سريعًا، لقد تأخرتُ على صديقي.

أجابه سريعًا:

- حسنًا يا سيدي.

زاد من سرعة المركب، وبعد مرور عدة دقائق بدأ الموج يرتطم بالمركب في عنف، فجأة توقّفَت المحركات عن العمل في منتصف نهر النيل.

هتف (جمال) في فزعٍ:

- ماذا يحدث؟! لماذا توقّفَت المحركات عن العمل؟!

هب (عاطف) من مقعده وهو يفحص المحركات، ثم أجابه:

- لا يوجد بها عطل، كل شيء على ما يرام، لكن لا أدرِي سبَبَ العُطل.

كانت المسافة بين المركب والشاطئ قريبة، فقال له:

- قم بفحص المحركات مرة أخرى.

حاول كثيرًا إشعالها، إلا أنها أبَت أن تعمل.

فلم يكن من (جمال) إلا أن قال:

- لا يوجد حل سوى العودة إلى الشاطئ وإحضار المركب الأخرى.

اقترب منه (عاطف) وهو يقول في خَوْف:

- لكن يا سيدي لا توجد إضاءة، كما أن الموج عالٍ؛ لذلك أخشى عليك أن...

بتر عبارته ونكثَ رأسه، فربت على كتفه قائلًا:

- هل تعتقد أنني سوف أخاف؟! لا تخشَ شيئًا، هل تستطيع السباحة إلى الشاطئ وإحضار المركب الأخرى؟

أومأ برأسه إيجابًا، ثم خلع حذاءَه وبعض ملابسه وترك متعلقاته وقفز في المياه، جلس هو وأشعَل سيجارة وهو يحاول أن يخترق الظلام ليشاهده، لكن الظلام دامِس فلم يستطع أن يشاهده، لكنه كان واثقًا من قدرته على عبور مياه النيل؛ فهو يعلم أنه يجيد السباحة، مرَّت نصف ساعة ولم يظهر المركب، ثم سمع صوتًا يأتي من بعيد فهب واقفاً، وهو يحاول أن يخترق الظلام، ثم ظهرَت المركب وداخلها (عاطف)، مرت دقائق حتى توقّفَت بجواره وهو يقول:

- معذرة يا سيدي؛ لقد كادت الأمواج العاتية أن تتلاعب بالمركب.

قال (جمال) في حيرة:

- لا أعلم سبب هذه الأمواج العاتية، هذا الوقت من العام يكون نهر النيل هادئًا، حسنًا، قم بربط المركب حتى ننطلق.

تقدّمَ عدة أمتار، وقبل أن يربط المركب، وقبل أن يتفوه ببنت شفة، اندفع المركب بسرعة كبيرة، حتى أن (عاطف) سقط على ظهره، ثم حاول جاهدًا أن ينهض، لكن لم يستطع.

أما (جمال) فقد هتف مناديًا إياه بصوت عالٍ، لكن المركب استمر يشق طريقه في مياه النيل بسرعة رهيبة، ثم توقف في منتصف نهر النيل.

برزت من تحت الماء تلك الطفلة، ثم هتفت في غضب:

- لقد حذرتُكَ سابقًا بعدم الصيد في تلك البقعة من النيل، أليس كذلك؟!

وهي تسبح بجانب المركب.

ارتجف وهو ينظر إليها، حاول أن يجِيبَها، إلا أن صوته تحشرج وهو يقول في خوف:

- أعلم ذلك، لكن أنا لا أقوم بالصيد، إنما هو سيد (جمال)، وسيد...

قاطعته بصوت عالٍ:

- ليس لي شأن بهما، لقد كان الاتفاق بيننا أن تخبرهما بعدم الصيد في تلك البقعة، أليس كذلك؟!

تصبّبَ عرقًا وتلعثم قائلًا:

- لقد خشيتُ ألا يصدقني أحد.

ضحكت بصوت عالٍ، وهي تقول مردّدة:

- لقد خشيتَ ألا يصدّقكَ أحد.. هل تعتقد أنني أقول تهديدات فقط؟

ثم حدجته بنظرة نارية.

فجأة تحوّلَت إلي أفعى كبيرة للغاية، اقتربَت منه ببطء شديد حتى أصبحَت على بعد نصف متر تقريباً، ثم توقّفَت عن الحركة ولونها يتغير أحمر تارة.. وأخضر تارة أخرى.

ثم تحوّلَت ملامحها إلى عروس البحر، ثم انقضَّت عليه، وتعالَى صراخُه يشقّ عنان السماء.

بعد جهدٍ جهيد تمكّن (جمال) من أن يدير المركب، وانطلق سريعًا حتى وصل إلى مركب (عاطف)، لكن المفاجأة أنه لم يكن موجودًا على متنه.

هتف مناديًا إيّاه، لكنه لم يُجِبه، فما كان منه إلا أن قام بربط المركب وانطلق نحو صديقه (كامل)، وقبل أن يصل إلى الشاطئ توقَّفَ المركب، حاول أن يدير المركب إلا أنه رفض أن يستجيب له، فجأة ظهرَت بجانب المركب.

انتفَضَ في خوف شديد، لكنها هتفَت بصوت هادئ:

- لا تخشَ شيئًا يا سيد (جمال)، لكن استمع لي جيدًا لأنني لن أكرر كلامي مرة أخري، نهر النيل كله أمامك، ابحث عن مكان آخر للصيد إلا هذا المكان، وإلا سوف تكون العواقب وخيمة، هل يمكنكَ استيعاب كلامي؟

أومأ برأسه إيجاباً وهو يتراجَع للخلف، وقال في لهجة استعطاف:

- لن أعود هنا مرة أخرى، لن أُغضبَكِ ولن...

قاطعَته:

- لا تقلق لن يمسَسك أحدٌ بسوء، إلا إذا خالفتَ أوامري، هل يمكنك تنفيذ هذا الأمر؟

أومأ برأسه إيجاباً، وهو يقول بصوت مبحوح:

- لن أعود إلى هنا مرة أخرى.

صمت قليلاً، ثم استطرد قائلًا:

- بل لن أعود إلى الصيد مرة أخرى، لقد اعتزلت الصيد.

ضحكت بصوت عالٍ، ثم قالت:

- أنا لم أطلب منك اعتزال الصيد، لكن هذا الأمر يرجع لك.

ثم تحول وجهها إلى اللون الأحمر القاني، وبرقت عيناها وهي تقول بلهجة حادة:

- حسنًا فعلت بعدم اقترابك من هنا؛ لأن هذا هو عقاب من تُسوّل له نفسه المساس بهذه المنطقة.

فجأة اندفعت جثة (عاطف) نحو سطح المركب.. أو ما تبقّى منها!

بمجرد أن نظر إليها حتى سقط فاقدًا للوعي.

لم يدري كم مر من الوقت، بمجرد أن فتح عينيه كان بجواره صديقه (كامل)، وبعد أن جلس نظر بجواره، كان على الشاطئ والمركب أمامه، وقبل أن يتفوّه ببنت شفة، ربت على كتفه وهو يقول بصوت منخفض:

- لا تقلق أنت بخير، لقد لمحتُ المركب متوقفة، وعندما حاولتُ التحدث إليك سمعت صوت الهاتف المحمول الخاص بك؛ فأحسَستُ أن هناك شيئًا.

توقف عن الحديث وهو يهتف متسائلاً:

- ما هذا اللون الأبيض الذي اكتسَى به شعرك؟! ثم ما هذا الفزع والرعب الذي كان على وجهك؟!

فغر (جمال) فمه قبل أن يقول:

- سوف أقص عليك كل ما حدث، لكن يجب عليك نسيان الصيد في هذه المنطقة إلى الأبد.

تمت بحمد الله.

جلسة ناجحة

- ياسر الشاذلي

- قلت لكم هذا رجل معتوه؛ فلا داعي لمجاراته فيما يفعل.

قالها الحاج (وهدان) بغضب لرفيقَيه وهو يعبث بحبّات مسبحته بعصبية؛ فأجابه (هاشم) بك وهو يضرب بعكازه على الأرض ضاحكًا: ولكن حصلنا على تسلية لذيذة لا تُنكِر.

(وهدان) بلوم: رجال في السبعين من عمرهم يمارسون هذا التهريج، أيصح ذلك يا سيادة اللواء(سمير)؟

تصنّع ثالثهم الجدية وقال: لو كنتُ ما أزال في الخدمة كنتُ أصدرت له أمر اعتقال بتهمة الدجل والشعوذة وازدراء الأديان، ولكن بما أنّني محال للتقاعد منذ زمن فلا بأس من بعض المرح.

(هاشم): أرأيتم وجه الدكتور(ذكريا) جارنا العزيز بعد أن ظللنا جالسين حول الطاولة المستديرة، الضوء خافت وكل منا ممسكًا بيد رفيقه لمدة نصف ساعة وأكثر؟

انفجر (سمير) ضاحكًا: صدقت، والموسيقى المريبة والعطر غريب الرائحة الذى عبق به المكان، ولم يحدث شيء رغم ندائه المتواصل وتوسلاته التي لم تنقطع.

(وهدان) متسائلًا: حقًّا درجة الدكتوراه التي يحملها في أيّ تخصص؟

(سمير): يا رجل، تعلم.. دكتوراه فخريّة من الجمعية الفرنسية الروحية العليا في تحضير الأرواح.

(هاشم) ضاحكًا: التي لا تحضُر.

(وهدان) ضاحكًا وقد ذهب غضبه: أجل.. صدقت، والعجيب أنه ظل يردّد أنها أول مرة يحدث معه ذلك، وأن الأرواح تجيبه دومًا.

(سمير) بشفقة: الرجل ذهب عقله فعلًا، يأخذ ذلك العبث على محمل الجد، ظل يردّد شبه منهار حتى رحلنا، الجلسة فشلت.

(وهدان): أدعو الله ألّا يموت هذا الرجل قهرًا.

(هاشم) ضاحكًا: ويذهب هو إلى الأرواح بنفسه بدلًا من استدعائها بلا طائل.

***

جلس اللواء (سمير) على مقعد جهاز تدريب عضلة الصدر في صالة الألعاب التابعة لنادي الشرطة، تطلّع للأوزان و ابتسم، ما زال قادرًا على رفع أوزان ثقيلة، رغم سنه ما زال محافظا على لياقته.

أخذ يدفع المقبضَين بكلا ذراعيه وهو يتنفس بانتظام عندما لمحَه.. شاب في العشرين أو أقل، ضخم مفتول العضلات، يقف بجواره يتدرّب بالأوزان.

تطلع له.. يبدو مألوفًا بلونه شديد السمار وملامحه البشوشة الهادئة.

تبادلا التحية، وقال (سمير) باسمًا: بارك الله في الشباب.. بطل حقيقيّ.

الشاب: ألف شكر، سبب شقائي تلك البطولة.

توقف (سمير) عن التمرين، وقال بدهشة: لماذا؟!

الشاب بأسف: بسببها قام ضابط بضربي ضربًا مُبرحًا.

(سمير) بتوجس: لماذا؟! ماذا فعلت؟

الشاب بصدق: أقسم لحضرتك كان خطأً، أُلقَى عليّ القبض أثناء مظاهرات الطلبة، لم أكن مشاركًا أقسم بالله.

عاد (سمير) للتمرين بصرامة: واضح، لأنك خرجت، ولكن خذ حذرك و...

الشاب بحزن: كان الوضع رهيبًا في سجن القلعة.

(سمير) بذهول: سجن القلعة! لكنه أغلق منذ عام 1984 وأنت سنُّك لا يزيد عن...

الشاب بألم: ما زلتُ أذكر ذلك النقيب الشاب يشير نحوي و..

كان (سمير) يتمرن بعنف، الذكريات تسطَع أمام عينَيه يومها، وحر الشمس يلفح الطلبة المعتقَلِين، أشار له فاقتربَ خائفًا متوجّسًا، هوى على وجهه بصفعة وهو يقول: سعيدٌ أنت بعضلاتك... تظن نفسك عنتر ابن شداد!

لم يلتفت لتوسلاته، بل انطلق فيما يجيده ويتلذذ بفعله، لا يطلقون عليه ذو القبضة الحديدة بلا سبب، عشرات اللكمات الساحقة والركلات المتلاحقة حتى هوى جسد المسكين بلا حراك، زملاؤه يصيحون بجزع: كفى يا (سمير) توقف.

طبيب السجن يعلنها بأسف: مات!

رئيسه يوجه له اللوم ويقرعه ولكن بحرص، قريبُه القياديّ في جهاز أمنيّ حسّاس يكفل له الحماية، الحل المعتاد.. الجثمان المُسجَّى يحمل في الليل والصحراء عامرة بالقبور المجهولة.

تطلّعَ برعب للفتى الذي كسَى الحزن ملامحه وهو مستمر في التمرين بعنف وسرعة، يريد أن يتوقف ولكنه لا يستطيع، يجب أن يتوقف ولكنه عاجز، أنفاسه تتقطع، عضلاتُه تصرخ من الألم، وقلبه يتوسّله أن يتوقف، ولكنه لا يستطيع!

تنهمر دموع الفتى بينما غرق هو في العرق، وانهمرَت الدماء من أنفه، ولكنه.. لا يتوقف!

***

كان الحاج (وهدان) جالسًا في صالون منزله يتطلّع بهلع إلى الفتاة التي تجلس أمامه تهدهد ما يبدو أنه رضيع صغير بشكل ملفت، لا يبدو منه أي شيء من الأغطية الملتفة حوله.

تطلّعَت للحاج (وهدان) وقالت باسمه: تعلم يا (وهدان) أنك أخي، ومهما حدث بيننا لن ينتقص من حبي لك.

(وهدان) وهو يبتلع لعابه بصعوبة ويقول بهمس: طبعًا، بارك الله فيك يا (سعدية).

(سعديه): أقسم لك أني أرغب في زيارتك منذ زمن بعيد، ولكن أنت أكثر شخص يعرف ما كنتُ فيه، وما أن سمحَت الظروف حتى حضرتُ فورًا.

ألقى نظره نحو باب الصالون وهو يكاد يجن.. أين ذهب الجميع؟! فجأة خلا البيت من زوجته وأولاده وأحفاده.. الظلام والصمت يعم المنزل الذي كان يضجّ بهم منذ دقائق قبل أن تحضر (سعدية) ويجدها أمامه فجأة هي وما تحمله بين يديها.

(سعدية) بحرج: سامحني إن كنتُ حضرتُ فجأة.

(وهدان) بصوت مرتعد: مرحبًا بكِ في أي وقت، أسعدَتْني زيارتك ورؤيتك بعد كل هذه السنين.

(سعدية) وهي تتطلع له بشفقة: أصابَكَ الكبر وأصبحتَ شيخًا يا أخي.

(وهدان) مبتسمًا بتكلّف: و أنتِ كما أنتِ لم تتغيّري.. أبدًا!

(سعدية) بثبات: لقد أخطأتُ يا أخي، أما زلتَ غاضبًا منّي؟

(وهدان) بسرعة: كلا.. كلّا، كنتِ على صواب، ولكن تعلمين...

رفعت كفها وقالت بحزن مقاطعة: بلى لقد أخطأتُ أنا و(علي) عندما قررنا الهروب من القرية، لم نأثم أو نأتي ما يُغضِب الله، خدَعنا أنفسنا وظنَنّا أن الحب أقوى من كل شيء، وأن حبنا سيصمد أمام العادات الذميمة، وأن زواجنا على سنة الله ورسوله سيُنهي خصومة الثأر بين عائلتينا، ولكن...

أحنت رأسها و انسكبَت دموعها، بينما (وهدان) يقول بترقب: أين (علي) زوجك؟

بصوتٍ باكٍ أجابته: (علي) لقد مات، ألا تذكر؟

كيف لا يذكر وهو أدرى الناس بذلك، لقد أفرغ في جسده خزينة مدفعٍ رشاش كاملة عندما وصل إلى مخبأهم قبل أن...

قطع ذكرياته عندما مسحَت دموعها وقالت باسمة: ولكن ابنه موجود، و أنت خاله أطال الله في عمرك، والخال أب.. آهٍ يا أخي، كانت ولادتُه عسيرة، شقُّ البطن مؤلم جدًا عافاكَ الله.

قامت و أقبلت نحو (وهدان) الذي اتّسعَت عيناه برعب وهي تقول: لم ترَ ابنَ أختك أبدًا، هيا لتراه وتباركه؛ فهو و أقسم بالله ابن حلال.

كانت ترفع الأغطية و(وهدان) لا يستطيع منع نفسه من التساؤل: كيف يكون شكل جنين ابنٍ خمسة أشهر؟

إنه يتذكر جيدًا منذ أربعين عامًا.. يوم اقتحَمَ بيت أخته الهاربة بعد أن قتل زوجها، تطَلَّع لبطنها المنتفخة، وصاح بغضب: فاجرة.

قبل أن يُولِجِ سكينه في بطنها حتى آخرها، ثم يخرجها ويحزّ عنقها حتى فصل رأسها عن جسدها.

كانت تقول له بسعادة: انظر إلى ابن أختِك.

تلاحقَت أنفاسه بسرعه رهيبة وأخذ يشهق بشكل مرعب، ثم صدرَت منه حشرجة النهاية.

***

(خمسة مليون يا (باسم)، لن أقلّل قرشًا واحد).

قالها (هاشم) بحزم وهو جالس إلى مكتبه الفاخر يتحدث عبر هاتفه المحمول.

- .....

- أنا أعرف ما أقول، السوق ملعبي منذ سنين.

-...

- يا ولدي أنا رجل عصامي، بنيتُ ثروتي بالجهد والكفاح، وعندما أقول خمسةَ مليون فإن المبلغ هو خمسة...

"خمسة آلاف جنيه".

تصلب (هاشم) عندما سمع الصوت الآتي من خارج غرفة مكتبه، سقط الهاتف المحمول من يده على المكتب، كان وحيدًا في المنزل بعد

سفر زوجته مع الأولاد الى المصيف، تناول مسدسه وقام بتوتر يستطلع الأمر، عندما رآه جالسًا في صالة منزله!

رجل في أواخر الخمسين من عمره، أصلع الرأس يضع نظارة نظر شديدة السُّمك، منهمك في عَدّ رزم كثيرة من النقود فئة العشر جنيهات ذات الورقة الضخمة الحمراء التي أُلغِي التعامل بها منذ سبعينيات القرن العشرين.

هوى مسدسه على الأرض وقد تسمّر في مكانه، ينظر برعبٍ وعدم تصديق قبل أن يقول بصوت مبحوح: أستاذ (صادق)!

(صادق) دون أن يرفع رأسه: كيف حالك يا (هاشم)؟ ساعدني أرجوك، يصِرُّون أن مبلغ العهدة به عجز خمسة آلاف جنيه، و أنا أؤكد أن العهدة كاملة، و أنه لا بد من إعادة الجرد، ولكنهم كل مرة يؤكدون أن هناك عجزًا، بل يشكّكون في ذمتي ويتهمونني بالاختلاس، هل هذا يرضيك؟

(هاشم) مبهوتًا: كلا.. كلا لا يرضيني، الكل يعلم أمانتَك ودِقّتَكَ يا أستاذ (صادق).

(صادق) ببسمة صافية: بارك الله فيك، نعم الأخ الأصغر، بل أنت مثل ابني تمامًا، الوحيد الذي كنت أترك الخز انة مفتوحة وأغادر وهو متواجد لعلمي بأخلاقِكَ وحسن أصلك وكمال تربيتك، كنت ونعم الشباب حقا يا (هاشم)، ولكن تبقى مشكلة العجز.

رغمًا عنه تقدم منه (هاشم)، ثم جثَى على ركبتيه العليلتَين أمامه وهو يتذكر الخمسة آلاف جنيه التي بنَى بها ثروته منذ خمسة وأربعِين عامًا؛ ليتحول من موظف بسيط في إحدى الشركات لواحد من كبار رجال الأعمال، من أين أتى بها؟ وكيف تسبب في...

تنهد (صادق) وهو يقول بحزن: تهمة الاختلاس كانت تهمة قاتلة، و أنا قلبي المريض لم يحتمل ذلك، ولكن الذي قتلني حقًّا الخيانة مِمَّن لم أتوقَّعْها منه.

رفع رأسه ينظر إليه بلوم وحزن؛ فأجفل (هاشم)، بينما (صادق) يقول راجيًا: قم أنت بالعَدّ علك تجد العجز أو تعرف أين ذهب المبلغ؟

كانت يدا (هاشم) تقومان بالعدّ رغما عنه، كان جسده كله يرتعد و أنفاسه تتلاحق بسرعة، ويشعر بألم يمزّق صدره أهي غيبوبة سكر أم جلطة أخرى؟

إنه لا يعلم، ولكنه يعلم أنه لا يستطيع أن يتوقّف عن العَدّ، و أنه سيستمر في العد حتى يلقَى نفس المصير الذي تسبّب في أن يلقاه (صادق) منذ زمن طويل.

****

كان الدكتور (زكريا) جالسًا منهمكًا في مطالعة عشرات الكتب والمراجع والمخطوطات المتناثرة في كل مكان من حُجرة مكتبه، وهو يكرر: فشلَت الجلسة؟! كيف حدث هذا؟ أول مرة في تاريخي يحدث ذلك.. تفشل الجلسة.

لو يعلم الدكتور (زكريا) أن جلسته حقّقَت نجاحًا فائقًا، وأنه لمصلحته عليه أن يتوقف فورًا؛ فهناك ثلاثة أرواح تُوفِّيَت حديثًا وغاضبة منه شخصيًّا، تجمّعَت كما اعتادوا أن يجتمعوا وهم أحياء، وينتظرون بترقب شديد أن يقوم مرة أخرى بعمل.. جلسة ناجحة.

عهد الشيطان

ياسر الشاذلي

القاهرة عام 1985..

قفز (جمال) من سيارة المؤسّسة الخاصة (بسعد بك)، واندفع نحوه بينما الأخير يهبط من سيارة تاكسي وقد ارتسمت علي وجهه أعتَى درجات الغضب!

كيف لا وهو (سعد بك) المسؤول الكبير يحضر إلى العمل بسيارة تاكسي، بل يهبط أمام جيرانه وحارس العقار، ولا تكون سيارة العمل وسائقها في انتظاره، سدّد لـ(جمال) نظرة قاتلة وصاح: أين كنت أيها الوغد؟

(جمال) برعب: أقسم لك يا سيدي إطار السيارة انفجر وذهبت لإصلاحه، ولم أجد هاتفًا قريبًا للاتصال بسيادتك، وما أن انتهيت من الإصلاح انطلقت أسابق الريح، إلا أنهم أخبروني أن سيادتَكَ غادَرْت.

(سعد) بصوت هادر تعمّد أن يسمعه الجميع: هذا لأنّني ملتزم بمواعيدي، لا أسمح لأي شيء أن يعطلني، لماذا لم تختبر إطارات السيارة؟

جمال: حدث، ولكن....

قاطعه (سعد): كفى كذبًا.. الويل لك ولمسؤول حركة السيارات ولمسؤول الصيانة، حسابكم عسير معي، العيد على الأبواب ولن تُمضُوه مع ذَوِيكم.

جمال متوسّلًا: أقسم لك يا سيدي...

قاطعه (سعد) وأخذ يكيل له السباب، وصعد متوعدًا أنه سيكون عقاب أسود له ولكل من يراه مسؤولًا عما حدث.

****

- اشرب و ابتهج يا ولدي، لكل شيء حل.

قالها عم (حسن) عامل مرأب السيارات في المؤسسة وهو يناول (جمال) -الذي جلس حزينًا- كوبًا من الشاي.

(جمال): أبتهج! ومن أين تأتي البهجة؟! ألا ترى ما أنا فيه؟! خمس سنوات من الإهانة ومعاملة مثل العبيد.

حسن: كل شيء وله نهاية، استعن بالله.

(جمال) بقنوط: الله؟!

حسن: نعم يا ولدي، كل شيء بيد الله سبحانه وتعالى، و...

(جمال) مقاطعًا بغضب: أين الله يا عم حسن؟! أجِبني أين مما نحن فيه؟ هل يرضيه مهانتي وضياع كرامتي؟ أن يتلذذ ذلك الرجل بإيذائي وهو يعلم أنه لا ذنب لي؟!

(حسن): أستغفر الله العظيم، هل ستكفر يا ولدي؟

(جمال) بمرارة: أكفر! لقد كفرتُ من زمن طويل، كفرتُ يوم اندفعَ أبي لاهيًا في حياته غير مبالٍ بأسرته، يوم مات وسلبنا أعمامي ميراثنا الذي كان سلّطهم عليه ليتفرغ لمغامراته، ووجدتُني مسؤولًا عن أُمٍّ وأشقاء، بل وزوجة أب وأبنائها أيضًا وأنا لا زلتُ فتي يافعًا، صارت حياتي شقاء وذلًّا ومهانة، كل مرة دعوتُه ولم يستجب لي.. لم يرفع عني.. لم ينجدني!

(حسن) بفزع: كفى اصمت، أستغفر الله العظيم.

جمال بإصرار: لا لن أصمت، رئيس الحركة ومسؤول الصيانة يحمّلونني مسؤولية ما سيصيبهم من أذى، وهم يعلمون أن الأذى أتى من جبروت وغرور وتكبّر سعد بك، ولكن لا يجرؤون على ذكر ذلك.

هب (حسن) يغادر وهو يقول بغضب: أفِق يا جمال ولا تجعل الغضب يوردك موارد التهلكة.

(جمال) وهو يصيح بغِلّ حتى يسمعه: نحن مؤسسة لا تعبد الله يا عم (حسن)، بل تعبد (سعد) بك وأمثاله، أفق أنت من توهمّك.

هتف (حسن) من بعيد: استعِذ بالله من الشيطان الرجيم.

(جمال) بإصرار: بل استعن بالشيطان.

- أوامرك يا جمال.

هوى كوب الشاي من يد جمال، وهبَّ و اقفًا عند سماعه تلك الجملة آتية من ركن مظلم وهو يصيح بتوجس: مَن؟!

أجفل عندما برز من قلب الظلام رجل خمسينيّ متوسط الطول مرتديًا حُلّة فاخرة، ويرسم ابتسامة كبيرة على فمه ويقول بمرح: أنا.

جمال: من أنت؟!

الرجل متعجّبًا: طلبتني ثم تسأل مَن!

تقدم منه (جمال) وهو يصيح بغضب: أي عبثٍ هذا؟! من انت يا ابن الـ....

فجأة اختفى الرجل من مكانه، ليتصلب جمال ويقول: ما هذا؟! أين ذهب؟!

- هنا.

تلفَّت جمال فزعًا، ليجد الرجل يقف خلفه مباشرًا، ثم يختفي فيظهر في ركن آخر، وكل مرة يقول: هنا! و(جمال) يتابعه مذعورًا.

حتى فوجئ بالرجل صار عشرات النسخ تقف وتمشي وتطير.

لم يقوَ جمال على الوقوف؛ فهوى، في حين اختفَت النسخ وبقي الرجل، الذي مد يده نحوه وقال: قم يا رجل، لا داعي للخوف.

جمال: أنت بسم....

رفع الرجل إصبعه محذرًا، وقال: انطقها أرحل في الحال و أتركك لـ...

تطلع له (جمال)؛ فوجده يجاهد أن يرفع سبابته لأعلى فيفشل، ويحاول نطق كلمةٍ فتتشنج شفتاه بعنف؛ فما كان منه إلا أن أحنَى رأسه وقد علا ملامحه حزن عميق، سارع يخفيه بابتسامة وهو يقول بمرح: وعندها ستخسر الكثير مما أستطيع تقديمَه لك.

جمال: ماذا تستطيع؟

الرجل بثقة: كل ما تريده، أول شيء (سعد) بك.

جمال: ماذا ستفعل به؟

أشار الرجل بكفه الأيسر نحو باب المرأب؛ فإذا جلبة في الخارج، سارع (جمال) نحو النافذة ليجد حشدًا من العاملين أمام المؤسسة، وسمع أحدهم يصيح: لا إله إلا الله، من يصدق؟!

آخر: كان في كامل صحته وعافيته.

فرد أمن: كان يتوعّد سائقه ورئيس الحركة بالويل، أقسَمَ ألّا يُمضوا العيد مع أهلهم، وها هو لن يمضي العيد مع أهله.

عم (حسن): لا تجوز عليه إلا الرحمة، سبحان الله! مات (سعد) بك.

تلفَّت جمال نحو الرجل ذاهلًا وهو يقول: مات؟!

انحنَى الرجل في حركة مسرحيه وقال: في خدمتك، اؤمر تجاب.

جمال: أنا الذي في خدمتك، بل في معية عبادك.

هيِّء لـ(جمال) أن الاشمئزاز علا ملامح الرجل، قبل أن يبتسم ويقول: بل نحن شركاء يا صديقي.

جمال بدهشة: شركاء!

الرجل: طبعًا، خدماتي ستكون مقابل خدماتك، سنعمل كلانا في مؤسسة عملاقة، ستكون فيها أنت شريك كبير وليس سائق بسيط كما أنت الآن.

(جمال) بدهشة: مؤسسة! ولكني لا أجيد أي شيء.

الرجل بثقة: جمال، أنت تملك كل المميزات والمقومات التي تؤهلك لأن تكون في أعلى الدرجات.. عندنا ستنال ثروة لم تحلم بها، وتحوز قوة وسلطة لم ترَ مثلها، كل رغباتك وشهو اتك وأحلامك محققة.

جمال: حقًا! سأعلو وأرتقي؟

ابتسم الرجل بسخرية، وقال: ترتقي.. طبعًا.

(جمال): وكيف ذلك؟

مد الرجل كفه الأيسر وقال: العهد أولًا.

سارع يصافحه ويقول: لكَ عهدي.

الرجل باستخفاف: سريعًا هكذا؟! ألا تنتظر لتعرف؟

(جمال): قبلتُ بكل شيء.

الرجل هامسًا: عجبًا لكم!

ثم علا صوته بجديّة: ستصير ساحرًا.. ساحر مكين عليم يطيعك جيش من الشياطين، أنت تملك كل المواصفات المؤهلة لذلك، بقي أن يعلّمَك المعلمون، ستصبح دكتور(جمال الفلكي)، اتفقنا؟

(جمال): اتفقنا.

***

توجه الرجل نحو الركن المظلم الذي أتى منه؛ فاختفى أمام (جمال)، ولكنه في الحقيقية دخل إلى عالم آخر موازٍ لعالم البشر، يرون ابن آدم منه ولا يراهم، عالم تغلب عليه ظلمة خانقة.

اعتلَى محفة يحملها ستة من المسوخ البشعة تشبه القردة، ومال على كائن مرعب قزمٍ يشبه الزواحف، يجلس بجواره وهو يقول: ما أشدّ حماقة الإنسان! كنت أمُرّ فشعرت بغضب عاتٍ ممتزج بكفر شديد يجذبني، فنظرت فإذا (سعد) المغرور المتكبر قد مات في مكتبه، أتى أجله وحلّت ساعته فانطلقت؛ فإذا الغبي (جمال) يصدّق أني قتلته و أني على كل شيء قدير، أسهل عهد كفرٍ صنعته، ولكن أنتظر من (جمال الفلكي) الكثير.

***

مكان غير معلوم...

عام 2022 بتاريخ البشر...

هبَّت (ناهد) تتأمل المكان حولها بفزع، هذه ليست غرفة نومها، أخذَت تتلفَّت حولها باحثة عن زوجها، عندما اصطدَمَت عيناها بالمرآة؛ فشهقت عندما رأت نفسها في كامل زينتها، ترتدي ثوب زفاف، أخذت تَنقِل نظرها بين جسدها و انعكاسها في المرآة غير مصدقة.

- أين أنا؟ ماذا حدث؟ كيف؟!

أخذت تهتف باضطراب وهي تتلفَّت في جنبات الحجرة الفاخرة التي حوت كل شيء عدا باب.. نعم كانت سجينة حجرة بلا باب.

- زفاف سعيد.

انتفضَت عندما سمعَت تلك الكلمة، وتلفتت لتجد شابًّا طويل القامة شديد الوسامة جامد الملامح والنظرات، يرتدي حُلّة سوداء فاخرة، يكرر بذات النبرة الهادئة: زفاف سعيد.

- من أنت؟

هتفت بها (ناهد) وهي تتراجع بفزع.

تأملها بنظراته الجامدة، ثم أشار بيده نحو جنبات الحجرة: أنا وظيفتي التأكد أن يتم الزفاف الميمون على أجمل وجه، وكما ترين المكان مؤثَّث ومجهّز على أعلى مستوى؛ لينال رضا العروسين وتحقيق السعادة الكاملة، أرجو أن تسمحي لي، العريس قد يصل في أي وقت.

ثم ابتسم ابتسامة جامدة وهو يكمل: يجب أن نترك العروسَين يستمتعان بليلتهما.

صرخت (ناهد) وهي تقول: ماذا تقول؟! أي عريس وأي عُرس؟! أنا سيدة متزوجة.

الشاب: أعلم توتر ليلة الزفاف، ولكن عليكِ أن تهدئي، تقولين أنكِ متزوجة! عظيم، إذًا الأمر لن يكون صعبًا.

(ناهد) بإصرار: أقولُ لكَ أنّني سيدة متزوجة، و أنا...

قاطعها بهدوء: نحن نعرف عنكِ كل شيء.. نعرف أنكِ متزوجة، ولا نهتم لذلك.

(ناهد) بتوتر: أنا مخطوفة إذًا!

الشاب: عظيم.. استوعبتِ أخيرًا؛ فلا داعي لإضاعة الوقت، العريس سيصل؛ فاستعدي له.

(ناهد): هذه جريمة...جريمة اغتصاب.

الشاب: الأمر يعود لكِ.

(ناهد) مهدّدة: أنتم لا تعرفون من أنا، إن خالي هو...

تطلع لها بسخرية وقال: قلتُ لكِ نعرف عنك كل شيء.. مغرورة.. فارغة العقل، وأشياء كثيرة أخرى، ولكن بقيَ أن تعرفي من نحن؟

قالها وتحول لون عيناه إلى اللون الأحمر الدموي، وفرغ فاه فإذا أسنانه شديدة البياض قد استحالت أنياب حادة قذرة.

كادت عينا (ناهد) تخرجان من محجريهما، وفرغت فاها عن صرخة صامتة وهي ترى التبدل الذي حل بالشاب، قبل أن يتصلب جسدها وتجد ذراعَيها يلتفّان بقسوة خلف ظهرها، وتُجذب نحو الفراش وتُلقى بعنف؛ لترقد في حالة شلل تام، بينما الشاب يقترب منها وقد استعاد هيئته الأولى، ويقول بهدوء: لذا عندما أقول لك زفاف سعيد؛ فأنا متأكد أنه سيكون هناك زفاف و.. سعيد.

أشار نحوها؛ فاستعادت قدرتها على الحركة؛ فهبت تصرخ، إلا أنه رفع إصبعه محذّرًا؛ فجلسَت على الفراش منكمشة وهي تهمس بصوت مبحوح: من هو؟

الشاب بمرح: العريس؟ أنتِ تعرفينه جيدًا (ماجد).

ناهد بذهول: (ماجد) زميلي في العمل؟! كيف؟!

الشاب بثقة وهو يشير نحوها بكلتَي كفيّه: (ماجد).. إنه يهيم بك لدرجة الهوس، رغبتُه فيكِ صارت كل حياته، كان مستعدًّا أن يفعل أي شيء ليصل إليكِ.

صمت وتطلع لها، وأكمل: كان مستعدًّا أن يدفع الثمن الذي نطلبه، وحصل مقابله على ما أراد.

(ناهد): لماذا يفعل ذلك؟

الشاب بسخرية: لا تدّعي أنكِ تجهلين، كنتِ تلاحظين عينَيه تلتهمانك، وكنتِ بذلك تسعدين، لا تُنكري أنك أغويتيه.

(ناهد) بفزع: أنا؟! أبدًا لم يحدث.

الشاب بحدّة: بل حدث، تعرفين كل مرة تعمدتِ المرور أمامه والتواجد في محيطه، كم مرّة تغنّجتِ في الحديث معه.

(ناهد): كان مزاحًا بريئًا، و...

الشاب بسخرية: مزاح بريء! أما زلتِ لا تستوعبين مع مَن تتكلمين؟! نحن نعرف الفرق بين مزاح الزملاء البريء وبين امرأة رأَت نظرة الرغبة الضارية في عينَي رجل فسعدَت بها؛ فسوّل لها غرورها أن تؤجّج نار الشهوة بداخله أمام وثَنِ أنوثتها الذي يفرحها أن يلتفّ حوله الرجال.

(ناهد): حدث مني ذلك.. نعم حدث، ولكن هذا لا يعطيكم السلطان عليّ، وإلا كان هذا مصيركل من تفعل ذلك.

الشاب: لكنه حدث كما ترين، وما أدراك أنه لا يحدث للأخريات؟

(ناهد) بصوت مختنق: كيف؟!

الشاب: لا تشغلي بالك، نحن -كما قد علمتِ- لنا قدراتنا التي تبدو لكم خارقة، و...

(ناهد) بإصرار: كيف تسلطتُم عليّ؟ أنا مخطئة في سلوكي وأخلاقي، ولكنى أصلّي وأصوم و أقرأ الـ...

الشاب بحياديّة: عظيم، وبم نفعك كل هذا؟ لا شيء.

(ناهد) باكية: أنا سيّدة مؤمنة.

الشاب بحدّة: مدّعية.. أنتِ مدّعية إيمان، مثلك مثل كثيرِين وكثيرات تؤدُّون الطقوس فقط لا غير، ولكن عند الإيمان تؤمنون بشيء آخر، و أنتِ تعلمين.

(ناهد): ماذا تعنى؟!

الشاب متظاهرًا بالتفكير: الدكتور(جمال الفلكي) مثلًا.

(ناهد) بفزع: (جمال الفلكي)!

الشاب بتأكيد: نعم (جمال الفلكي)، وأحجِبَته وأعماله، العمَى الذي أصاب (نهى) زميلتك فتركت العمل؛ لتحصلي أنتِ على الترقي، الكراهية غير المبررة بين زوجكِ وخطيبته السابقة قبل أن تظهري أنتِ في حياته.

ضحك ضحكة مجلجلة، وأكمل: هديّتُكِ لكل رئيس ومدير.. برواز به آية قرآنية يحوي عملًا سفليًّا.

(ناهد) بذهول: أعمال سفلية؟!

الشاب بسخرية: ماذا كنتِ تظنين؟! عمل الترقّي والمحبّة والنصر والتمكين كما يسميها تابعنا (جمال).

(ناهد) بذهول: (جمال الفلكي) تابع لكم؟!

الشاب ضاحكًا: تخيّلي ذلك.. نعم تخلَّى عن إيمانه وصار تابعًا لنا، وحصل على كل ما ترينِه من ثروة وشهرة وجاه، بل وشباب دائم.. حسنًا لقد عرفتِ كل شيء، آن للعريس أن يأتي ليسعد بعروسه.

هوت (ناهد) تقبّل حذاءه وتصيح: أتوسل إليكَ لا تترك هذا يحدث، أنا مستعدّة لأي شيء تريده.

الشاب: أي شيء؟

(ناهد) بقوة: أي شيء، لا تدع ذلك يحدث و أنا اصير تابعة لك مثل (جمال الفلكي).

ساعدَها على الوقوف وقال: حسنًا.. هذا يغيّر الوضع، لا عروس ولا عريس.

ابتسمَت (ناهد) بارتياح عندما صفّق؛ فاختفَت الحجرة واختفَى ثوب الزفاف، ولكن ما لبث أن استولَى عليها الفزع عندما وجدَت نفسها ترتدى زيًّا يشبه أزياء جواري العصور الوسطى كما تصورهم لوحات المستشرقين، وثم قيد يكبّل يدَيها، صرخت: ما هذا؟!

الشاب الذى تبدلت حلته العصرية بملابس تشبه ملابس المماليك: هذا.. إنه الاتفاق، كنتِ في أول الأمر مخطوفة ستُقدَّمين غصبًا لراغب دفع الثمن أوقعك في ذلك آثامك، أما الآن فأنتِ تابعة لنا، أخذتِ العهد راضية منصاعة؛ فصرتِ جارية مُتعة من جوارينا، نقدّمُكِ لأتباعنا الراغبين، ووسيلة إغواء لإسقاط آخرين.

(ناهد) وهي تكاد تُجَنّ: عاهرة!

الشاب: العاهرات عندنا مُقدّمات وفي أعلى أدنى الدرجات.

(ناهد) بذعر: لقد عقدتُ عهدًا معكَ صونًا لشرفي.

انفجر ضاحكًا وهو يقول: عهدٌ مع الشيطان صونًا لعرض؟! حمقاء أنت أم بلهاء؟! إنما أغواكِ وعدُ الثروة والشباب الدائم مثل (جمال).. هيّا استعدي له؛ فسيأتي إليكِ بعد (ماجد).

(بسمة تريد قتلي)

عواطف العطار

أمسكَت دانية بيد السيدة وهي ترتعد خوفًا، وتقول:

- الحمد لله، لقد أنقذني الشرطي، لقد كدتُ أموت، لقد كانت تجري وهي تحمل سكينة كبيرة وتجري خلفي كالمسعورة، تصرخ وتسب، حتى أنّني رأيتُ الزّبَدَ يخرج من فمها وشعرها مشعث كالمجانين، أما أنا! لقد كنتُ أركض وأركض وأصرخ أن ينجدني أحد، لكن الجميع كان يشاهد فقط، لا أحد يتدخل ليدفعها عني، لا أعلم هل هو خوف أم ذهول أم هول الموقف؟! لا أعلم، ولكن كان وكأنه مشهد سنمائي بالعرض البطيء.

أمسكت دانية كتف السيدة وهي تستكمل كلامها:

- ثم هجمَت عليّ، نعم هجمت عليّ، أمسكَتني من شعري وسقطت أرضًا، سقطتُ على ظهري وجلسَت هي فوقي وبدأت بضربي بعنف، كانت تضرب وكأنها تنتقم مني، و أنا كنتُ أحاول فقط أن أتفاداها، ولكنها كانت تصرخ وتبكي وتصفع وتلكُم كله في وقت واحد، ثم أمسكت بالسكين وضربتني في بطني، ولكنني دفعتُها؛ فما كان منها ألا أن جرحتني في بطني جرحًا بسيطًا و.. و.. و.. أمسك بها الشرطي، وجئتُ أنا لهنا و أنقذتموني، ولكن هناك سؤال مهم.

نظرت لها السيدة بخوف وهي تقول: ما هو؟

- لمَ فعلت هذا بي؟ أنا أحب أختي.. أحب بسمة، وهي أيضًا تحبني كثيرًا، لكن أمي كانت دائمًا ما تفضّلني وتكرهها، ولم نكن نعرف السبب، أمي تحب دانية، أمي تكره بسمة، لن أستطيع العيش بدون أختي، لن أستطيع، أنا أحبّها، لقد سامحتُها، أرجوكِ اتركُوها وسوف.. سوف نعيش

معًا.. سنحب بعضنا، لن يكرهنا أحد ولن نكره أحدًا، صحيح.. صحيح.. صحيح.

قالت السيدة: نعم، صحيح، أريدكِ أن تهدئي حتى يأتي الشرطي، حسنًا.

- نعم، نعم، سيأتي الشرطي الآن.

ابتعدت عنها السيدة ودانية ما زالت تضحك وتهمس بكلمات عديدة.

وفجأة سُمع صوت الباب وهو يُفتح، ودخل عسكري وأمسك بذراع دانية التي كانت لا تزال غير واعية لما يحدث، لا تزال في نوبة الهستيريا.

دخلت دانية المكتب بصحبة العسكري، وتركها وذهب.

نظر وكيل النيابة لدانية التي كانت تنظر له بعيون زائغة، وملابس غير مهندمة، ورعشة تسير في كل جسدها بشكل ملفت للانتباه.

- حسنا يا بسمة، لنبدأ.. أخبريني لماذا قتلتِ دانية؟

بدأت عيون بسمة تتحرك بشكل عشوائي، ثم قالت: من؟!

- أنتِ بسمة عبد الجبار حسين، وأُختكِ دانية عبد الجبار حسين، تعرضتِ لها بالضرب ثم شققتِ بطنها بالعرض وأخرجتِ أحشاءَها، وتوفِّيَت في نفس الوقت، وكان هناك شهود على هذا لأنكِ قتلتِها بالشارع، إذًا.. لماذا قتلتِ أختَكِ؟

- أنا دانية وبسمة حاولت قتلي.

نظر لها وكيل النيابة، وتنهد قائلًا: اسمعي يا بسمة.. تلك المرة ستكون الأخيرة قبل أن أعرضَكِ على لجنة الطب النفسي لترى شأنك، ولكن قبل هذا أريدُكِ أن تعرفي أن ادّعاءَكِ للجنون لن ينجدَكِ أبدًا؛ لذا اعترفي ولينتهي الأمر.

- أنا بسمة؟! أين دانية؟!

- ماتت، أنتِ قتلتِها.

- لا، أنت كاذب، كاذب، أختي لم تمُت، دانية لم تمُت، اصمُت أيها الكاذب.

أمسكت بسمة برأسها وبدأت بالصراخ، والأحداث تترتب في رأسها...

"بعد أن ضربَت بسمة بطنَ دانية خرجَت أحشاؤها بسبب حدة السكين والقطع الكبير الذي حدث، نظرَت بسمة لوجه أختها الذي بدأت ترتعش بقوة، ويخرج منها صوت متحشرج، ثم همد جسدها..

- دانية!

لمسَت وجه أختها وهي تبكي.

- دانية! هيا استيقظي أيتها الكسولة.

ثم قامت من مكانها، وتوجّهَت لرأس دانية، حملته ووضعته على حجرها وقالت: هيا استيقظي (ثم ضحكت بصوت عالٍ) دانية.. دانية.. دانية.

ثم تركت رأسها لترتطم بالأرض، ثم وقفت وهي تنظر حولها وتقول: أين بسمة؟! لقد كانت تجري خلفي الآن.. هل رأى أحدُكم بسمة؟ يجب.. يجب أن أذهب للمنزل، أمي ستقلق إن لم أعُد سريعًا، أمي تحبني.. أمّي تحب دانية.

(نساء على الطريق)

عواطف العطار

عائدة من عملها بعد منتصف الليل، كانت تسير بخطى سريعة للمنزل بخوف شديد.

كانت (ليان) تعمل ممرضة في أحد المستشفيات، وينتهي موعد عملها بعد منتصف الليل مع بداية الشيفت المسائي، اضطرَت للعمل كممرضة بعد موت زوجها فجأة، ليترك لها طفلًا صغيرًا لا يتعدّى الثلاثة أعوام، تتركُه مع جدته وتذهب لتكسِبَ لقمة العيش.

كانت تسير بسرعة خوفًا من الطريق؛ فقد كانت ترى الكثير وهي عائدة، الشباب المتسكعون ليلًا، الحيوانات الضالة من كلاب وقطط، وتسمع أصواتًا ليس لها مصدر، لربما لم يحدث هذا أبدًا، لربما كان ينبع من داخلها.. من داخل خوفها الشديد، وهي نفسها لم تعلم أبدًا، أكان هذا حقيقيًّا أم وهمًا؟

توقّفَت ليان لدقيقة وهي تمسك رأسها؛ فقد شعرت بتنميل مفاجئ في نصف رأسها الأيسر، وبدأ يقتحم كل رأسها بشكل سريع لدرجة أنها أمسكَت رأسها بقوة من الألم، ولكن فتحَت عينَيها وعادت لتسير مكملة طريقها بسرعة وتعود للمنزل خوفًا من أن يهجم عليها أحد اللصوص وقُطّاع الطرق.

فجأة.. شعرَت بقبضة شديد بصدرها وكأن قلبها سيخرج من مكانه الآن، استندَت على الحائط لدقيقة، وعندما حاولت العودة للسير شعرَت بنفس القبضة مرة أخرى، وتلك المرة سقطَت على ركبتها وهي تمسك

صدرها، كانت تصارعِ لتتنفس، ولكن سمعَت صوتَ همسٍ؛ فرفعت رأسها لترى.

كان الزّقَاق يتكوّن من منازل قصيرة، وكل منزل يوجد به باب صغير خشبي مُغلَق للدخول للمنزل، فعندما رفعَت ليان رأسها وجدَت أمام كل باب خشبي سيدة عجوز تجلس على كرسي وينظُرْن لها، كان الزّقاق بلا إضاءة، ورغم ذلك كانت ترى عيونهم المضيئة وهي تنظر لها، قامت من مكانها وهي تشعر بألم شديد في كل جسدها، ولكن يجب أن تستمر في السير، ولكن مع أول خطوة تخطوها وقفت كل السيدات معًا، ووجّهْن أجسادَهن نحوها!

فرجعت ليان للخلف خطوة وهي تشعر بالرعب الشديد، ولكن ألم رأسها وقلبِها يجعلها مشوّشة، لربما يكون هذا وهمًا من الألم لا أكثر، ولكن قطَعَ حوارها مع نفسها حركتُهُنّ نحوها السريعة غير المتلائمة مع أعمارهن كعجائز.

صرخت ليان وهي تركض للخلف وتنظر خلفها، لتجدهن يجْرِين خلفها بسرعة.

- اتركنَنِي وشأني.. ماذا فعلت؟! أرجوكن لا تُؤذونَنِي، أنا أمٌّ لرضيع يحتاجني، أرجوكُنّ.

ولكن بلا فائدة، كانت سرعتهنّ تزيد، ومع الرعب الشديد فكرت ليان أن تعود للمستشفى، هناك لن يستطيع أحد أن يقترب لها، وبالفعل بدأت بالركض وتركَت قدمها تقودها؛ فقد بدأ الألم يهاجمها بشكل أكبر وأعنف، ولكن كانت تحاول لتصل، صورة ابنِها المحفورة برأسها تحفّزُها للعودة.

- لن أتركَكَ يا صغير لا تخف، سأعود من أجلك.

وصلت ليان للمستشفى ودخلت من الباب ونظرت خلفها، وكما توقّعَت لم تستطع أيٌّ منهُنّ أن تدخل، ابتسمَت بانتصار وتركت جسدها يسقط أرضًا، وهي تستند على الحائط وهي تحاول التنفس وصدرها يعلو ويهبط من صعوبة تنفسها، ثم قامت وهي تستند على الحائط متوجّهة لغرفة الممرضات، وهناك وجدَت زميلتيها عفاف وإلهام تجلس كلٌّ منهما تنظر لهاتفها الجوال دون أن تنظر لها أيٌّ منهما.

لم تهتم ليان، وتقدّمَت نحو سريرها واستلقَت عليه بتعب، انتفضت عفاف وهي تقول:

- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، السرير! هل تحرّك أم أنني أتوهّم؟!

نظرت لها إلهام بتوتر، وقالت:

- نعم، لقد تحرك، أخبرتُكِ ألّا ندخل تلك الغرفة؛ فأنا أخاف منها.

ابتسمت ليان وكادت أن تتحدث، ولكن عفاف تحدّثَت موجهة كلامها لإلهام:

- آه، لقد مرّ على وفاة ليان عام كامل ولا زلتُ أشعر بها وكأنها معنا هنا، أشمّ رائحة عطرها، وأسمَعُ صوت سريرها وخزانتها وملابسها وكأنها تأتي للعمل يوميًّا كما كان يحدث.. (تنهّدَت) لقد افتقدتُها كثيرًا، رحمه الله عليكِ يا صديقتي.

نظرت ليان لها بصدمة، ثم قالت:

- ما هذا المزاح السخيف يا عفاف؟! نحن صديقتان، كيف تسخرين مني بهذا الشكل؟

لم تنظر عفاف أو إلهام لها حتى وكأنهما لم يسمعاها.

إلهام: كيف ماتت يا عفاف؟ لقد كنت في أجازة عند وفاتها.

عفاف: عند عودتها للمنزل بعد العمل، كان هناك شجار كبير بين مجموعة من السيدات، حاولَت أن تفرق بين سيدَتين، ولكن احتَدّ الموقف أكثر وتدخّلت سيدات أخريات؛ فدفعتها إحداهن عن غير قصد؛ فسقطت بقوة واصطدم نصف رأسها الأيسر بحافة رخامية أمام أحد المنازل، ولم ينتبه أحد إلا بعد فوات الأوان، لقد نزفَت الكثير من الدماء، وعندما حملها الرجال وجاءوا هنا حاولنا إنعاش قلبها، ولكن بلا فائدة.

إلهام: لا حول ولا قوة الا بالله، رحمة الله عليها.

نظرت ليان لهما بصدمة وحزن، ثم نظرت لجسدها ولمسَت وجهها بيدها، وقالت: أنا ميتة؟! لا، أنا حية.. أنا أشعر بنفسي.

ثم قامت مسرعة لتنظر في المرآة، ولكن لا شيء، هي ليست هنا بالفعل، المرآة فارغة تمامًا.

بكت ليان، نعم بكَت بحرقة، ليس على حالها، بل حال طفلها الذي أصبح يتيم الأبوين بسبب خطأ بسيط، آه يا طفلي.

سارت ليان وهي تجرّ خلفها الحزن والأسى على حال طفلها، وفتحت باب المستشفى ونظرت أمامها.

ثم نظرت بتعجب وهي تنظر لليمين واليسار، ثم لمست دموع وجهها وهي تقول: لمَ أبكي؟! لا يهم، يجب أن أسرع في الرحيل، طفلي ينتظرني، لقد انتهيت أخيرًا من العمل.

ثم سارت ليان عائدة من العمل بسرعة خوفًا من الطريق، ولكنها ستعود لتراه، ستظل تعود في دائرة لا تنتهي، ولكن ربما تنتهي يومًا.. عندما تعود لتراه.. طفلها الصغير.

(حكاية الأستاذ "ن")

محمود لطفي

لا أعتقد أن اليوم لم يكن غريبًا من بدايته، فكيف لقهوتي التي أعاني منها الأمَرّين أن تكون بمثل هذا الجمال واللذة!

وكيف أجد الحافلة الوحيدة التي تمرّ من أمام منزلي بالمنطقة النائية تكاد تكون تخلو من البشر، حتى إنني نظرتُ نحو مقعد السائق اعتقادًا مني أنّها أضحت تسير أوتوماتيكِيًّا بلا سائق!

بل والأدهى وجدتُ بها كرسيًّا مجاورًا للنافذة، حيث أستند بذراعي وأحملق في الطريق بلا هدف سوى مراقبة هذا أو التنمر على ذاك، أو حتى تخيل حكاية تجمعني مع أحد من هؤلاء المهمّشين أمثالي، ولكن ما يزيد طيني بلّة أنني مهمّش بالإضافة لكوني آخر أوراق شجرة عائلتي؛ حيث لا أخ ولا أخت ولا أبناء خال أو عم ولا أبناء خالة او عمة، قطرة ماء سقطَت في صحراء قاحلة؛ فتبخّرَت سريعًا ولم تترك أثرًا؛ فأنا أيضًا فاتني قطار الزواج، وبالتالي بلا أولاد.

قطع حبل أفكاري وصول الحافلة لمكان عملي، حيث وجدتُ نفسي أبتسم ابتسامة باهتة ناظرًا للمبنى الذي أُعاقَب بالدلوف إليه في الثامنة صباحًا كالسجين، وأخرج منه في الثالثة عصرًا كالمفرج عنه لبضع ساعات ما تلبث أن تنتهي ويعود كمن أخذه الحنين لحضن سجّانه، حيث يكتشف أن عمله الحكومي الروتينيّ، ورغم ملَلِه ورتابته ومشاجراته التي لا تنتهي ومشاحناته التي لا حصر لها، لكنه يظل آخر أنفاس الحياة لبائس وحيد مثله نال منه الزمن وقد شارف على الخامسة والخمسين.

استكمالًا لمسلسل الغرائب والعجائب وجد ابتسامة تعلو وجوه كل من يقابله لا يعرف سرها، بداية من رجل الأمن الواجم مرورًا بزملاء الدور الأول، وصولًا لموظف دفتر توقيع الحضور والانصراف، حتى مديره الأصلع السمين الذي يتعجّب يوميًّا كيف لا ينهار مبنى قديم متهالك كالذي يعملون به في ظل حركة مثل هذا الرجل مديره ذهابًا و إيابًا فيه؟! تخيّل حتى هذا المدير ثقيل الظل ابتسم في وجهه أثناء مروره اليومي عليه.

كتم تعجّبه وذهب لبيت الراحة، حيث نداء استغاثة من مثانتِه وجب تلبيته منعًا لعواقب وخيمة، وبعد أن انتهى وخرج من دورة المياه متوجّهًا لمكتبه ومزاولة روتينه اليوميّ شعر بدوار خفيف، ما لبث أن تزايد حتى وصل للإغماء وفقَدَ وعيه تمامًا.

وبعد ما يقرب من ربع ساعة كان يشعر بأيدٍ تحاول إفاقته ليستيقظ من غيبوبته؛ ليجد مكتبه وقد تحول ل قاعة احتفالات، بلالين ملوّنة وزينات معلقة بألوان مزركشة، و أنوار مبهرة، وقبل أن يعود لكامل قواه ويدرك ما يحدث وجد نفسَه مكبّلًا، وفي منتصف طاولة كبيرة وسط المعجّنات والمقرمشات والمشروبات الغازية، وأغنية عيد الميلاد الشهيرة تتسَرّب لأذنيه بأصواتِ موظّفين المبنى مهنئين مديرهم الأصلع السمين بعيد ميلاده، ولكن لماذا يكبّلونه ويشلّون حركته بهذه الطريقة؟!

بل ولماذا وضعوه بدلًا من تورتة عيد الميلاد؟

قبل أن يفكر كثيرًا جاءته الإجابة من مديره ذات نفسه قائلًا لمساعده:

- لن أنسى لكَ موقفك النبيل أن تُهدِيني في عيد ميلادي الستين، وقبل تقاعدي، الأستاذ "ن" ذا اللحم الأبيض كوليمة، لهو أمر جلَل، و أتمنى أن تكمل مسيرتي؛ فاليوم آخر أيامي العملية، وهنيئًا لكَ يا نائبي ومساعدي العزيز.

ثم نظر نحو الباقيين وبحدة قال:

- لحم المخ والفخذان لي، والباقي كله وزعوه بالتساوي كعادة كل عام.

وقهقه وتعالت ضحكاتهم، والأستاذ "ن" لا يزال يشعر أنّه في كابوس منتظرًا أن يفيق منه دون جدوى، وفجأة استسلم "ن" للأمر ودموعه تملأ وجهه، وأصابه شعور بالإحباط، وقبل أن تنغرس أول سكين بجسده استيقظ "ن" على صوت زوجته تصرخ في وجهه قائلة:

- هيا انهض يا غراب البين، سيجازيك مديرك لو تأخرت، و...

لم يسمع "ن" باقي حديثها، بل تأكد من كونه كان في كابوسٍ مزعج؛ فحمد الله، وحين وصل مقر عمله وجد الجميع يلومونه على عدم حضور حفل عيد ميلاد مديرهم ليلة أمس، خاصة أن الرجل سأل عليه أكثر من شخص، وكأنه كان يريد أن يودعك قبل انتهاء خدمته يا "ن".

ضحك "ن" بطريقة لم يلحظها أحد وأكمل عمله، ولكن حدث شيء غريب؛ فقد وجد "ن" عامل النظافة يحاول محو آثار الحفل، ووجد بقايا عظام بشرية، ارتبك العامل حين سأله الأستاذ "ن" عن ماهيتها.

وظل "ن" يتابع بحرص اختفاء زميله الأستاذ "ك" الفجائي، الذي حضر حفل ميلاد مديرهم لشهور دون جدوى؛ فلا زوجته تعرف عنه من يومها شيئًا، ولا يوجد له أثر، وكرّمَته الشركة واعتبرته شهيدًا، وظل المدير ينشد في تفانيه الأناشيد، وللمرة الأولى يربط "ن" بين اختفاء زملاء العمل وليلة عيد ميلاد مديره، ولكنه كالعادة أجبَن من أن يتحدث رغم كونه على علم إنه سيكون الضحية يومًا ما.

جنية الغيط

(وائل عبد الرحيم)

(مبني على قصة حقيقية)

جلستُ و أبناء عمومتي نستمع لحكايات جدي العجوز..

منذ صغرنا وقد اعتدنا الجلوس معه أسبوعيًّا على ضوء القمر، نستمع إليه وإلى حكاياته العزيزة عن الشاطر حسن وعلاء الدين والبساط السحري، وغيرها العديد من الحكايات التي كان يحكيها لنا بصوته الفخيم الهادئ.

وفي هذه الليلة اجتمعنا حوله كعادتنا.. كنا قد كبرنا ودخَلْنا أعتاب المراهقة، ولكننا لم نمَلّ أبدًا من هذه الجلسة المحببة وتلك الحكايات الجميلة.

ولكنني في تلك الليلة كانت لديّ خطط أخرى..

فلقد حكت لي والدتي يومًا عن قصة غريبة قد وقعَت لجدي نفسه وهو شاب، لم تحكِ لي تفاصيل كثيرة؛ مما جعلني متلهفًا للغاية لسماعها من جدي نفسه.

وهكذا قلت له في تلك الليلة:

- يا جدي، سمِعنا أن لكَ حكاية غريبة حدثت لك أنت شخصيًّا، احكِها لنا.

ابتسم جدي بهدوء، وسرح ببصره قائلًا:

- لقد ذكّرتَنِي بذكرياتٍ بعيدةٍ يا بني.

ثم نظر إلينا قائلًا:

- ولكن هل ستصدقونني إذا حكيتُ قصتي لكم؟

قلنا بحماس:

- نعم، سنصدقك بالتأكيد.

شرد ببصره مرة أخرى، وبدا لي كأنه يتطلّع إلى نهاية الحجرة وهو يقول:

- حدث هذا منذ سنوات طويلة، كنتُ شابًا لم أتجاوز العشرين عامًا بعد، قويًّا فتيًّا وسيمًا، كنتُ مطمعًا لجميع فتيات القرية، ولكنني كنتُ ملتزمًا أقضِي جُلّ وقتي بين عملي ومنزلي وأصدقائي.

كنتُ أعمل مع أبي وجدي في أرض السيد (حسين صادق)، وهو ثريٌّ كبير يمتلك المئات من الفدادين في ناحيتنا، ويعمل في أرضِه أغلب أهل قريتنا، وكان رجلًا حسنَ السمعة جيد الطباع متواضعًا يحبه الجميع، ويخدمونه بحب وحماس.

كان السيد (حسين) يحبُّني بشكل خاص، وكان يعتبرني ساعده الأيمن؛ نظرًا لنشاطي ونباهتي وإخلاصي، وأيضًا لأنني كنت متعلمًا وبارعًا في أمور التجارة والبيع والشراء والحسابات؛ فكنت مقربًا منه ويكلّفُني دائمًا بالمهمات التي لا يستطيع إسنادها لغيري.

كان لي أصدقاء مقرّبُون، نجتمع ثلاث مرات أسبوعيًّا في إحدى الأراضي، نتسامر ونلهو ونشرب الشاي الذي نقوم بإعداده على نيران الحطب الذي نقوم بإشعاله، ونظل هكذا حتى الصباح.

وفي هذه الليلة، وبينما كنت أتسامر مع أصدقائي، أرسل السيد (حسين) في طلبي على وجه السرعة؛ فاستأذنتُ منهم وقمتُ سريعًا ملبّيًا

النداء، ليطلب مني السيد (حسين) إيصال خطابٍ هامٍّ للغاية يدًا بيدٍ إلى شقيقه بالقاهرة، وأخبرني أنه لا بُدّ لهذا الخطاب أن يصل الليلة.

وهكذا أخذتُ الخطاب وعدتُ إلى أصدقائي، وأخبرتهم بمهمتي و أنني سأتركهم، ثم قلت لهم ممازحًا:

- لا تشربوا الشاي حتى أعود.

فيقول أحدهم:

- لا تقلق؛ فسوف نقومُ بعمل دور آخر من الشاي؛ فلا تتأخر.

رددتُ عليه ضاحكًا:

- لا تخف، سأعود إليكم قبل الدور الثاني للشاي.

ثم ودعتهم و اتجهتُ إلى منزلي، وارتديت ملابسي وأسرعت للّحاق بآخر قطار.

كانت المحطة بعيدة عن منزلي، وكان الوقت لا يكفي للوصول إليها قبل مغادرة آخر قطار فيها.

فكّرتُ وقررت أخذ طريقٍ مختصر يمرّ بين الأراضي الزراعية ولا يستخدمه الناس كثيرًا، خاصة بالليل؛ لكثرة الشائعات حوله والتي تقول أنه مليء بالأشباح والعفاريت.

كنت شجاعًا لا أهاب شيئًا، ولا أصدق هذه الحكايات؛ فاتخذتُ طريقي عبر هذا الطريق المختصر و أنا أشدو ببعض الأغاني الشعبية لتسلية نفسي.

كنتُ قد وصلتُ إلى منتصف الطريق عندما ر أيت أمرًا عجيبًا..

فلقد شاهدتُ أتّان بيضاء تسير الهوينى بمنتصف الطريق بمفردها بدون أي بشر بجانبها.

كان هذا أمرًا غريبًا؛ فهذه الحيوانات المستأنسة لا تسير أبدًا بمفردها هكذا بدون بشر، إلا أنْ تكون مربوطة لئلّا تفر، فهل هربت هذه من أحدهم؟ كيف ولا يوجد حبل حول رقبتها؟!

كنتُ قد اقتربتُ منها وأنا أبحث بعيني عن صاحبها ربما كان هنا أو هناك، عندما أقدَمَت الأتان على أغرب فعل توقّعتُه.. فلقد بدأت في الرقص!

نعم أخذَت تتمايل يمينًا ويسارًا وتلتَوِي بجذعها وترفع حوافرها واحدًا تلو الآخر وتنزلهم على الأرض، كما تفعل الأحصنة في رقصها.

ارتجف جسدي وأنا أتساءل عمّا تفعله هذه الأتّان بالضبط، وقررتُ أن أبتعد عنها في سيري وأن أطلق ساقي للريح فور تجاوزها.

وهكذا اتّخذتُ أقصى جانب الطريق محاولًا الابتعاد عن تلك الأتّان المريبة، و...

- أنت خائفٌ مِنّي أم ماذا؟

انتفضتُ وارتعد جسدي بذُعْرٍ هائل، وتراجعتُ حتى سقطتُ على ظهري من شدة الرعب؛ فذلك الصوت الأنثوي العابث الذي نطقَ بالجملة السابقة صدر منها..

من الأتان البيضاء!

***

ظلَلتُ في سقطتي أتطلع إلى الأتان التي تقدّمَت مني بهدوء، وهي تقول:

- مالُكَ يا صديقي؟ أرأيتَ شبحًا؟!

حاولتُ التحدث فلم أستطع للحظات، حتى استطعتُ النطق أخيرًا؛ فقلت بصوتٍ مرتجف:

- أأنتِ تتحدثين؟!

ضحكَت ضحكةً ساخرة بنفس الصوت الأنثوي، وهي تجيب:

- بالطبع أتحدث، وأستطيع أيضًا أن أفعل أشياء كثيرة.

ومالت عليَّ وهي تغمز بعينها الواسعة قائلةً:

- مثل أن أُوصِلَك لتكمل مهمّتك وتعود في ربع ساعة فقط.

نظرتُ لها بذهولٍ قائلًا:

- وتعلمين هذا أيضًا؟

ضحكَت مرة أخرى وهي تتراجع قائلة:

- أنا أعلم أشياء كثيرة، وأعرِضُ عليك المساعدة لتوصيلك؛ خاصّةً و أنك لن تلحق بالقطار بأية حال من الأحوال، اسمع..

أنصتُّ السمَع لأستمع إلى صوت القطار الذي يقترب من المحطة، ونظرًا لبعد المسافة بيني وبين المحطة علِمتُ أنني بالفعل لن ألحَقَ به.

نظرَت لي الأتان مرة أخرى قائلةً:

- ماذا قلت؟ هل تقبل توصيلي لك؟

نظرتُ لها خائفًا ومفكرًا في نفس الوقت.. أمعقولٌ أن أقبل عرضًا مثل هذا؟ أمعقول أن أقْبَلَ أن توصلني أتان متكلّمة؟ ثم كيف ستوصلني وتعود بي بهذه السرعة التي تقولها؟!

وكأنما قرأَت أفكاري قالت الأتان:

- نعم أستطيع أن أوصلك بسرعة، ولا تخَف.. لن أؤذيك، لو كنتُ أريد إيذاءَكَ كنتُ فعلت بالفعل، ولم تكن لتستطيع إيقافي، هيّا قرّر سريعًا قبل أن أغير رأيي.

نظرتُ لها مرة أخرى بدهشةٍ قبل أن أحسم قراري.

سأقبلُ عرضَها؛ فلستُ مستعدًا لتحمّل فشلي في مهمة يطلبها مني السيد (حسين)، لن يعاقبني، ولكني لا أحبّ أن أخيّبَ ظنه أو ثقته بي، سأقبل.

اطمأنَنتُ إلى مطواتي في جيبي وأنا أنهض نافضًا الغبار عني، و أقول لها:

- حسنًا أقبل، ولكن حذَارِي أن تفكّري في أذيّتي.

ضحكَت مرة أخرى وهي تقول:

- لا، اطمئِن، هيا اركب على ظهري.

تقدّمتُ إليها بخطوات مترددة، وفكرتُ في التراجع عن هذه المغامرة المحفوفة بالمخاطر، ولكنني وجدتُ نفسي أعتَلِي ظهرها، لتنطلق بي من فورها طائرة في السماء.

***

فُوجِئتُ بما حدث، لأتمسك بعنقها بقوة صارخًا:

- ما هذا؟! لم تقولي لي أنّكِ تطيرين.

ضحكَت من جديد وهي تقول:

- وكيف كنتَ تظنُّني أوصلك وأعودُ بكَ بتلك السرعة إذًا؟ تمسّك جيدًا أيها المغامر حتى لا تقع، ولا تخف هكذا.

استفزَّتني كلماتها؛ فهتفت:

- لستُ أنا من أخاف، أنا لا أخاف إلا ممن خلقني فقط.

قالت بلهجة عابثة:

- هذا هو بطلي.

سألتُها:

- ألا يشاهدنا الناس ونحن طائران هكذا؟ !

أجابَتْني:

- لا يشاهدني أو يشاهد من يمتطِيني أحد إلا برغبتي فقط.

أخذتُ أفكّر في كلماتها، حتى فوجئت بها تقول لي:

- لقد وصلنا.

فُوجئتُ بنا وقد وصلنا إلى القاهرة وهي تهبط رويدًا رويدًا، حتى هبطَت بي بجانب منزل شقيق السيد (حسين) بهدوء وهي تقول لي:

- اذهب و أتمِم مهمتك بسرعة حتى نلحق الدور الثاني من الشاي مع أصدقائك؛ فلن أنتظرك طويلًا، وربما تضطرُ إلى العودة سائرًا على قدميك.

لم أكن مندهشًا لمعرفتها هذا أيضًا؛ فهبطتُ من على ظهرها سريعًا وذهبت لأوصل الخطاب، ثم عدت لأجدها و اقفة مكانها تنتظرني؛ لأعتلي ظهرها سريعًا فتطير بي ثانية في السماء.

وهكذا وفي خلال عدة دقائق أخرى كنتُ قد عدتُ لأصدقائي لألحق معهم بدور الشاي الثاني.

لم يصدقني أصدقائي عندما قلت لهم أني قد أتْمَمتُ المهمة وعدت؛ حيث إنني لم أتغيّب إلا أقل من ساعةٍ فقط، وبالفعل عدتُ قبل أن يقوموا بعمل دور الشاي الثاني، عذرتهم طبعًا؛ فأنا شخصيًّا لا أكاد أصدق ما حدث لي، لم أحكِ لهم حكاية الأتان حتى لا يتهمونني بالجنون.

يومها عدتُ قُربَ الفجر ونمت على الفور من التعب والإرهاق، ولكنني استيقَظتُ بعد مدة لا أعلمها على شعور غريب، لقد أحسَستُ كأن هناك من ينام بجواري على الفراش، اعتدلتُ ونظرتُ بجواري؛ فلم أجد أحدًا، وأحسست بكل شيء طبيعي؛ فعدت للنوم و أنا أقنع نفسي أنني كنت أحلم من التعب، ومع ذلك لم أنفكّ طيلة فترة نومي وحتى الصباح أشعرُ بذات الشعور، وبأن هناك من ينام بجواري، بل وأشعر بأنفاسه الحارة بجوار رأسي، استيقظتُ عدة مرات ووجدتُ كل شيء طبيعيًّا تمامًا.

وعلى الرغم من تعبي وإرهاقي وقلّة نومي استيقظتُ في العاشرة صباحًا كعادتي، لأجد طعام الإفطار جاهزًا على منضدةٍ بجوار فراشي.

الو اقع أن هذا أصابني بدهشة شديدة؛ فلم تعتَد أمي تحضير الإفطار لأيٍّ منا بمفرده، بل نفطر جميعًا بساحة المنزل.

وهنا سمعتُ طرقات على باب حجرتي، وصوت والدتي تقول لي إن الفطور جاهز بالأسفل، ووالدي وجَدِّي ينتظر انني للإفطار معهما قبل الذهاب للعمل.

ارتجف جسدي و أنا أنظر إلى الطعام الموضوع على المنضدة.

إذا كانت أمي قامت بتحضير الإفطار بالأسفل، فمن قام بتحضير الإفطار الذي أمامي هذا؟!

- أنا.

سمعتُ هذه الكلمة بذلك الصوت الأنثوي في نفس لحظة ظهور أجمل فتاة رأيتها في حياتي أمامي بغتة، تراجَعتُ بذعر متلفتًا إليها ومنبهرًا بها في ذات الوقت.. فتاة بيضاء تشُوب وجهها حمرة خفيفة، ذات شعر أسود بلون الليل، طويل يصِلُ إلى قرب قدميها، عيناها كحيلتان واسعتان ورموشها طويلة، وفمُها و أنفها دقيقان، وترتَدِي فستانًا حريريًا أبيض يظهر من جسدها المتناسق ملفوف القوام أكثر مما يخفي، لقد بدا وكأن ملكة جمال الكون قد تجسَّدَت أمامي في هذه اللحظة.

وكانت تلك الفتاة تبتسم لي ابتسامة ساحرة زادتها جمالًا على جمالها ألف مرة.

ولكن بعد لحظات ذهب انبهاري وعاد ذعري مع قولها:

- هل ارتعبتَ مني؟! هل يرتعب المرء ممن أتعبَت نفسها وقامت بتحضير الإفطار له وأحضرته إليه بنفسها؟!

ما هذا؟! إنني أعرف هذا الصوت.

سألتها بذعر:

- من أنتِ؟

اقتربَت مني بدلال لأشم ريحها العطر الذي ذهب بعقلي، وهي تقول:

- ألم تعرفني بعد؟

همستُ بذهول وقد تعرفت الصوت:

- أنتِ.. أنتِ الأتان.

هتفَت:

- لا لستُ أتان، بل كان شكلًا مؤقتًا تجسّدتُ لكَ به، بإمكانك مناداتي بـ(سِيلا)؛ فهذا اسمي.

ثم جلسَت بجواري على الفراش بدلالٍ أكثر، وهي تقول لي ناظرة في عيني:

- أيعجبك اسمي؟

سألتها:

- من أنتِ؟! وماذا تريدين مني؟!

قامت بحركة غاية في الأنوثة، وأشارت إلى الطعام وهي تقول:

- هيا لتفطر أولًا ثم نتحدث يا حبيبي.

قلت لها بحدّةٍ وقد ذهب رُعبِي:

- من حبيبك هذا؟! أنا ليسَت لي حبيبة، ثم أنا لم أعرف من أنتِ حتى الآن، ولماذا تفعلين كل هذا معي.

ضحكَت نفس ضحكتها الساخرة التي كانت تضحكها عندما كانت بهيئة الأتان، وجلست أمامي واضعة ساقًا فوق ساق وهي تقول:

- سأقول لك، ولكن أولًا انتبه لي.

رفعتُ عينيَّ عن ساقيها المرمريتيّن في حرجٍ، لتقول لي وهي تغمز بعينها:

- أنا أعجبكَ، صحيح؟ أنت أيضًا تعجبني ومنذ زمن.

همستُ:

- أنا أعجبكِ؟ كيف؟! ولكن أولًا أرجوكِ قولي لي من أنت.

قالت لي وهي ترفع رأسها في شموخ:

- أنا (سيلا) ابنة (شمهون)، ملكٌ من ملوك عفاريت الجن.

نظرتُ لها بذهول وقلت بصوت مرتعش:

- ماذا تقولين؟ آه، هذا ما كان ينقصني، والله كنت أشعر بهذا منذ البداية، فمن أين تأتين بكل تلك القدرات إن لم تكوني جنية، وماذا تقولين؟! تحبينني؟!

أجابتني بصوتها الساحر:

- وماذا في هذا؟ أليس للجن الحق في الحب أيضًا؟!

قلت لها:

- الحب من نفس الجنس، وليس أن تحبي بشريًّا مثلي، هذا لا يصح ولا يجوز.

قالت بعناد:

- لا، هذا يصح ويجوز، أنا أحبّكَ و أنت أيضًا تحبني، هذا يبدو واضحًا في عينَيكَ، تزوَّجني يا حبيبي وسأجعلك أقوى الرجال وأغناهم، وستمتلك كل ما تشتهيه وكل ما تتمنّاه.

و اقتربَت مني تبغي احتضاني، ولكنني أبعدتها عني في حزم قائلًا:

- لا تقتربي مني، قلت لكِ هذا لا يجوز، و أنا لن أتزوج إلا بشرية مثلي.

وهنا انقلبَت سحنتها على نحو رهيب، وبانت على ملامحها الجميلة علامات الغضب الشديد مع نيران ظهرت من العدم وأحاطت بجسدها، نيران حقيقية شعرتُ بسخونتها ولفحها لدرجة أن سال عرقي على وجهي، وهي تقول لي بغضبٍ عارم:

- هذا ليس برغبتك أيها الإنسي، بل برغبتي وإرادتي أنا، و(سيلا) إذا أرادَت شيئًا تأخذه، لقد رفضتُ عرضًا يتمنّاه العشرات من ملوك وأمراء الجن، رفضتَ عرض أميرةٍ تحكمُ عشرة آلاف عشيرة من عشائر الجن، وتأتي أنتَ أيها الحقيروترفض طلبي؟ ستدفع الثمن.

نظرتُ لها برعبٍ وقد تحول كامل جسدها إلى نارٍ صافية، حتى أن أثاث الغرفة بدأ في الاحتراق، وهي تكمل بصوتها المخيف:

- سأعطيكَ يومَين فقط أيها الإنسِيّ، يومين فقط، إما أن تقبَلَ عرضي وأجعلَكَ أسعد بني جنسك، أو ترفضَه وسأحيل حياتك إلى جحيم مستعر.

ثم اختفَت من أمامي بفرقعة عالية، بينما بدأت النيران في الاشتعال بالغرفة.

فوجئ بي والدي أخرج صارخًا من الغرفة مرددًا كلمات مثل: "الجنية - العفريتة - الأتان - غرفتي تشتعل"، فأمسك بي وهدأني؛ فقلت له إن غرفتي تشتعل وقد أشعلَتْها الجنية؛ فأخذ في الضحك قائلًا:

- وهل بدأت تصدق في مثل تلك الأمور أيها الشجاع؟

فهتفتُ قائلًا:

- إذا لم تكن تصدقني فاذهب إلى غرفتي وستجدها تشتعل.

ولكن عندما ذهب والدي إلى غرفتي وجدَها كما هي بدون أي تغيير، ولم يحترق أي شيء فيها.

قال لي والدي إنني بالتأكيد كنتُ أحلم أو يُهيّأ لي، ثم طلب مني التحضّر للإفطار والذهاب للعمل.

أخذتُ أنظر لحجرتي بذهول وأنا أتساءل، تُرى هل كنت أتخيّل بالليل؟! وماذا عن رحلتي المكُّوكية للقاهرة على ظهر تلك الجنية، هل هي أيضًا أحلام؟!

كنت أحتاج لتلك التقنية الدفاعية؛ فأخذت أقنع نفسي بالفعل أن كل هذا هلاوس وأحلام، خاصةً أنه لم يحدث شيء طوال اليومين التاليين، ولكنني كنتُ مخطئًا.

ففي اليوم الثالث صحوت لأجدها أمامي..

فتحتُ عيني يومها لأجدها تجلس على المقعد بجوار فراشي، وتتطلع إليّ بابتسامتها الساحرة، كانت ترتدي فُستانًا أكثر إثارة من سابقِه، وقد بدَت في هذه المرة أجمل بمرات من المرة السابقة.

وعندما لاحظَت نظرات الانبهار على وجهي اتّسعَت ابتسامتها وهي تقول:

- ما زلتُ أعجبك، حسنًا، ماذا إذا علمتَ أنني أستطيع التشكل لك في أية هيئة أنثوية تشتهيها مهما كانت؟ حتى لو كانت لنجوم السيما اللاتي تنبهر بهم في سينما البندر.

وأمام عينيَّ المذهولتين أخذَت هيئتها تتحول بين العديد من الأشكال الأنثوية، بعضُها لنجمات سينمائيات مشهورات؛ ليسقُط فكّي السفلي ذهولًا مع كل هذا الذي يحدث أمامي، والذي فاق قدرتي على الاستيعاب.

وبعد لحظات من الانبهار عادَت لشكلها الأول وهي تقول لي:

- تزوجني، تزوجني وسأجعلُكَ أسعد إنسان، لقد استأذنتُ والدي وهو موافق رغم مخالفة هذا لتقاليدنا؛ فهو لا يرفُضُ لي طلبًا أبدًا، ولكنه اشترط موافقتك، ها ما رأيك؟

نظرتُ لها بانبهار متزايد وقد بدأ عقلي يطلب مني الموافقة، ولكنني عدتُ لصوابي مرة أخري وقد تذكّرتُ حديث أحد أصدقائي لي بأن أشكال الجن الحقيقية لا يستطيع البشر حتى النظر إليها، أيضًا كيف أتزوّج جنية؟! وإذا أنجبتُ منها هل سيصبح أطفالي من الجن؟! لم أكن أستطيع استيعاب هذا.

حاولتُ أن يكون كلامي هادئًا مواسيًا و أنا أقول لها:

- يا (سيلا)، أنا بحق أقدر مشاعرك تلك، ولكنني حقيقةً لا أستطيع قبول عرضك؛ فأنا لن أتزوج إلا بشرية مثلي.

فوجئت بها تصرخ صرخةً عاليةً وتتحول من جديدٍ إلى كائنٍ ناريٍّ وهي تصرخ:

- إذًا أنت الذي جنَيتَ على نفسك.

ثم أخذَت في الطيران في جميع أرجاء الغرفة، لتبدأ الغرفة بالاشتعال من جديد وهي تصرخ:

- هذه المرة النيران حقيقية.

صرختُ بدوري و أنا أندفع خارج حجرتي، لأجد والدي أمامي يهتف:

- ماذا حدث يا ولدي، وما هذه النيران؟

صرختُ به:

- أصدّقتَنِي الآن يا أبي؟ لقد أحرقَت تلك الجنية غرفتي بحق هذه المرة.

نظر لي بذهول، ثم قال بحزم وهو يذهب ليملأ دلوًا بالماء سريعًا:

- حسنًا، لنطفئ النيران أولًا ثم نتحدث.

نجحتُ بعدها مع والدي والجيران في إطفاء النيران، ثم جلس والدي معي لأحكي له جميع ما حدث معي، ففكر قليلًا قبل أن يقول لي:

- هذا يحدث أحيانًا يا ولدي؛ حيث يقَع أحد أبناء الجن في حب أحد البشر، سواءً كان جنيًّا أحَبّ فتاةً أو جنيةً أحبَّت رجلًا.

قلت له:

- وما العمل يا والدي؟

قال لي:

- سنذهب ليلًا لشيخ الجامع لأخذ رأيه.

وعندما ذهبنا مساءً لشيخ الجامع أكّدَ حديث والدي، وقال لنا أنه يوجد شخص يمكنه مساعدتنا، وهو الشيخ (علوان) صديقه، وشيخ جامع القرية التي بجوارنا، ثم أعطانا العنوان.

ذهبتُ أنا ووالدي في اليوم التالي إلى الشيخ (علوان)، وهو رجل وقور يقطن في منزل كبير على أطراف القرية، وقد قابلَنا في غرفة منفصلة بحديقة منزله، يبدو أنه قد خصصها لتلك الأمور؛ حيث كان قد حدّثَه صديقه شيخ الجامع لدينا عن حالتنا قبل ذهابنا له.

كانت الحجرة مزدانة بنقوش ورسومات غريبة لم أفهمها، ولكنني لم ألتفت لهذا و أنا أحكي له كل ما حدث، ليبدو الاهتمام والانزعاج على وجهه وهو يقول لي:

- يا إلهي! إن حظّكَ سيئ جدًّا يا فتى؛ فـ(سيلا) هذه من عشيرة قوية جدًّا ولها سلطة وجاه كبيران، وتحكمُ عشرات العشائر من الجن، ألم تجد غير هذه حتى تقع في حبك؟

قلت له:

- وهل ما حدث قد حدث برغبتي يا شيخنا؟! إنها هي من تطاردني وأريد التخلص منها.

فقال لي:

- سأفعل ما بوسعي يا بني، وليكن الله في عوننا.

ثم أجلسني أمامه وأخرج عددًا من الكتب وأخذ يقرأ منها عليَّ الكثير من العبارات الغريبة باللغة العربية، استطعتُ تفسير بعض كلماتها أنه يأمر (سيلا) بتركي بأوامر سلاطين الجن.

لكن فجأة، وعندما كان الشيخ مسترسلًا فيما يقوله، ظهرَت تلك الملعونة (سيلا) فجأة بهيئتها الأنثوية، ولكن تحيط بها هالة من النيران، وكانت تمسك بيديها الاثنتين كائنَين من نور أبيض يتلويان وهي تقول بوحشية:

- يا لكم من تافهين بائسين! أظننتم أن هذَين الحارسين التافهين يستطيعان التصدي لي أو منعي من الدخول؟!

ثم ألقت بالكائنين جانبًا ليختفيا على الفور بفرقعة مكتومة، بينما يبدو الرعب على وجه والدي ويرتعد جسدي في ذعر، بينما لم يبدُ على الشيخ (علوان) أي تأثر وهو يقول لها بقوة:

- لو كنتِ قد أذيتِ حرّاسي؛ فأنتِ بذلك تعادين عشائرهم.

ضحكَت قائلة:

- هل تخيفني بعشائرهم؟ إنني أستطيع هزيمة جميع هذه العشائر في لحظة.

ضحك الشيخ (علوان) قائلًا:

- آه أفهم هذا، تهزمِينهم بقوة جيوش والدك، ولكن هل يعلم والدك بما تفعلينه الآن؟

كشّرَت (سيلا) هنا عن أنياب طويلة ظهرت من فمها، وهي تقول بشراسة:

- لا تذكر والدي بلسانك الحقير.

لم يهتز الشيخ أيضًا وهو يقول بسخريةٍ:

- ولماذا لا أذكره؟! إنني حتى أريد استدعاءه ليحضر الخِطْبَة بنفسه، ولن تستطيعي منعي؛ فأنتِ هنا بلا قوة تذكر! ولم تهزمي حراسي إلا لأنهم هاجموكِ خارج الغرفة.

صرخت (سيلا) مرة أخرى قبل أن يرقّ صوتها وهي تقول لي بضراعة:

- أرجوكَ يا حبيبي امنَعْه من استدعاء والدي و اقبَل حبي لك، وسأفعل لكَ كل ما تريده.

أشحْتُ عنها بوجهي لتصرخ مرة أخرى، بينما ارتفع صوت الشيخ (علوان) بترنِيمَةٍ جديدة يطلب فيها من السلطان (شمهون) التجسد أمامنا، بينما تدوِي صرخات (سيلا) تقول له ألا يفعل.

وفجأة حدث ما يشبه العاصفة القوية وسط الغرفة تمامًا، عاصفة رياحها ساخنة لفحَتْنا بحرارتها، قبل أن تنتهي بعد لحظات بتجسّد رأس ناريٍّ عملاق له عينان حمراوان يقول بصوت جَهْوَريٍّ ناظرًا إلينا:

- من جرُأَ على استدعاء السلطان (شمهون)؟! من فعلها سيدفع الثمن.

تراجعتُ أنا ووالدي بخوف، بينما قال الشيخ (علوان) بصوت قوي:

- عذرًا أيها السلطان، ولكنني استدعيتُكَ للنظر في أمر ابنتك التي تريد الزواج من بشريٍّ رغمًا عنه.

نظر الوجه إلى (سيلا)، التي تراجعَت برعب وهو يقول لها بغضب:

- أحدث هذا يا (سيلا)؟! ألم أشترط عليك موافقته؟

قالت (سيلا) بخوف:

- لقد كان سيوافق يا والدي، و...

قاطعها صارخًا:

- اصمتي.

صمتَت على الفور، ليلتفت الوجه إليَّ قائلًا:

- أترفض الزواج بابنتي؟

كنت أشعر بخوفٍ شديدٍ، ولكن أجبته بصوتٍ مرتعش:

- نعم، إنني أريد الزواج من إنسيّةٍ مثلي، وهذا حقي.

قال السلطان (شمهون):

- وأنا السلطان (شمهون)، لا أرضَى لابنتي أن تتزوج ببشريٍّ رغمًا عنه، وشرطِي كان موافقته على هذا.

ثم التفت إلى ابنته قائلًا:

- (سيلا)، انتهى الأمر، اتركِي هذا البشري لحاله.

بكت (سيلا) بدموعٍ من نار تساقطَت على الأرضية وهي تقول:

- ولكنني أحبه يا والدي، أعشقه.

صرخ فيها:

- وهو لا يريدك، انتهى الأمر، والآن انصرفِي وحاذري مخالفة أمري.

نظرت للأرض وهي تقول بصوت منكسر:

- أمرُكَ يا والدي.

واختفَت من أمامنا، ليقول الشيخ (علوان) للسلطان (شمهون):

- أشكرُكَ أيها السلطان، هذا هو المنتظر من سلْطانٍ عظيم بقدرك.

قال السلطان:

- لم تعتد عشائرنا أذية بشر لم يؤذوها عبر تاريخها الطويل، ولن يفعل (شمهون) أو أيٌّ من نسله هذا أبدًا، اطمئنوا، لن يتعرّضَ لكم أيٌّ منا، إذا بقيتم أنتم بعيدًا عنَّا.

ثم اختفي من أمامنا برياح مماثلة للتي أتى بها.

نظر لنا الشيخ (علوان) مبتسمًا وهو يقول:

- حمدًا لله، كان آخر سلاح لدي هو الشكوى لوالدها السلطان، ولستُ أدري ماذا كان سيحدث لو كان وافقها فيما تفعله، حينها لن يكون أمامك حلٌّ إلا القبول أو الموت، أو ما هو أسوأ من الموت، حمدًا لله، لقد انتهى الأمر الآن.

شكره والدي بحرارةٍ، بينما تطلّعتُ إليه بصمتٍ، ثم أدرت رأسي حيث كانت تقف (سيلا) متطلّعًا إلى تلك الحروق في الأرضية.. الحروق التي خلفتها دموعها.

انتهت حكاية جدي لأقول له بحماس:

- قصة رائعة يا جدي وأنا أصدقك، ولكن قل لي.. ألم تظهر لك (سيلا) بعدها أبدًا؟

ابتسم جدي العجوز وهو يقول:

- لا، لم تظهر ثانية يا ولدي عبر عمري الطويل، ولكن أتعرف شيئًا؟

ثم مال ناحيتي ليقول بهمسٍ وهو يغمز بعينه:

- أحيانًا أشتاق لها، وأحيانًا أخرى أشعر بها حولي تراقبني، أحيانًا أشعر بأنها لم تتركني قط.

نظرتُ له بدهشة وهو ينهض مودِّعًا إيانا، ولستُ أدري لمَ شعرتُ كأنني أشاهد طيفًا أبيض لفتاةٍ جميلةٍ تتبعه كظله؟!

ولكنني بالتأكيد كنتُ أتوهّم.. أليس كذلك؟

(الصفقة الملعونة)

وائل عبد الرحيم

توقّفَت السيارة الفارهة أمام ذلك القصر الضخم في أحد أرقى أحياء القاهرة الجديدة، وهبط منها عدد من الحرس الخاص مفتولو العضلات أحاطوا بها دون داعٍ حقيقي لذلك؛ حيث إن القصر نفسه يقع داخل مساحة مائة فدان، يحتلّ القصر نصفها وتحتل حديقة رائعة الجمال النصف الآخر، وتحيط بالقصر من جميع جوانبه، ويحيط بالاثنين سورٌ عالٍ يمتلئ هو والحديقة بالحرس المدججين بالسلاح بطريقة توحي بأهمية ذلك الشخص الذي يعيش وسط كل هذا.

وبينما انتشر الحرس مؤمّنِين السيارة وما حولها، بينما اصطف بعضهم على الجانبين حتى مدخل القصر، هرع سائقها مهرولًا يدور حولها ليفتح الباب الخلفي الأيمن لها؛ لتهبط منه سيدة أربعينية في غاية الجمال والأناقة، وهي تنظر حولها بنظرة مشمئزة ليس لها ما يبررها أيضًا، قبل أن تتجه بخطوات واثقة لتدلف من مدخل القصر.

وعندما اختفَت بداخل القصر يتبعها اثنان من حرسها الخاص؛ أعاد الباقون توزيع أنفسهم ليحيطوا بالقصر إحاطة السوار بالمعصم.

وبداخل القصر توقف الحارسان عند أسفل السلم الرئيسي الصاعد للأعلى، والذي صعدته السيدة بعد أن هرولَت خادمتان تجاهها، لتأمر السيدة إحداهما بتجهيز حمامها، وتأمر الأخرى بإخبار الطهاة بسرعة تحضير الغداء.

اتّجهَت كل خادمة لتنفيذ ما أمرت به، بينما اتجهت السيدة إلى غرفتها ودخلتها وأغلقت بابها وراءها، ثم توقّفَت قليلًا تتطلع إلى الغرفة

الواسعة، والتي يبلغ ثمن تجهيزها ما يكفي لتجهيز عشر شقق إسكان متوسط على الأقل، وهي تقارنها بشقتها القديمة التي وُلِدَت وترعرَعَت فيها.

لقد مرت سنوات طويلة على هذا، ولكنها ما تنفكّ تتذكر على الدوام كيف بدأ كل شيء وكيف وصلت إلى ما هي عليه؟

اتسعت ابتسامتها وهي تقوم بتغيير ملابسها لترتدي روبًا منزليًّا أنيقًا في نفس اللحظة التي طرقت فيها خادمتها الباب تخبرها بأن الحمام جاهز.

خرجَت من غرفتها تتمشّى بخطوات هادئة في طابقها العلوي، والذي لا يلجه أحد إلا هي وخادمتها الشخصية، متجهة إلى حمامها والذي يحتل جناحًا كاملًا بالطابق.

وبعد لحظات كانت أسفل المياه تأخذ دُشًّا ساخنًا أحسَّت به يزيل آثار تعب اليوم، والذي أنجزت فيه عدة صفقات ناجحة تزيد من ملايينها ملايينًا، لتقترب أكثر وأكثر من حمل لقب أول مليارديرة مصرية.. المليارديرة (مايسة صادق).

ابتسمت مرة أخرى عندما تخيّلَت اللقب وهي تمرر يدها في شعرها الطويل.

ولكن اختفت ابتسامتها فجأة، وارتعد جسدها بأكمله عندما شعرت بيد تتحسّس ظهرها الغارق بالمياه من الخلف.

انتفضت والتفتت متراجعة في ذعر وهي تتساءل: أي لصٍّ خارق هذا الذي اجتاز كل هذه التحصينات ووصل إليها في حمامها الخاص أثناء استحمامها؟

ولكن وعلى الرغم من صعوبة هذا الاحتمال فما شاهدته كان أكثر غرابة!

فهي لم ترَ شيئًا مطلقًا!

فلم يكن هناك أحد، ليس فقط وراءها، بل بالحمام بأكمله.

إذًا فما هذا الذي شعرت به؟!

ترى هل هُيِّئ لها؟ أم أن المياه تقوم بألاعيبها معها وهي التي أوصلت إليها هذا الشعور؟

نعم بالتأكيد هي المياه.

أقنعَت نفسها بهذا الأمر وهي تمرر يدها في شعرها بحركةٍ متوترة، ولكنها لم تجد هذا الشعر.

انتفضَت في هلع وصرخت وهي تتحسس رأسها التي أصبحت صلعاء تمامًا، لا توجد بها شعرة واحدة.

نظرت حولها بهلعٍ متزايدٍ تبحث عن شعرها، وهل سقط كله بطريقة ما أثناء استحمامها؟ ولكنها لم تعثُر على أثرٍ له، لا على رأسها، ولا حولها.

خرجت من أسفل المياه، واتّجهَت إلى مرآتها تتطلع إلى وجهها بها؛ لتتسع عيناها في دهشة.

فشعرها في المرآة كان في موضعه على رأسها كما هو، طويلًا أسود مبتلًا بالمياه.

مدت يدها تتحسس رأسها مرة أخرى؛ فلم تجد شعرًا! على الرغم من أن يدها داخل المرآة كانت تتحسس شعرها.

ترى ماذا يحدث؟! هل أصابها الجنون؟

ولكن وقبل أن يكتمل تساؤلها فوجئت بذلك الشيء يظهر فجأة خلفها في المرآة..

كيان أسود مبهم الملامح، طويل للغاية يكاد يصل لسقف الغرفة، وله عينان حمراوان وذراعان يمتدان من خلفها يهمان بالإمساك برقبتها.

التفتَت في ذعرٍ فلم تجد شيئًا وراءها.

عادت بنظرها إلى المرآة لتجد ذلك الكيان قد توقّف عن محاولة الإمساك برقبتها، وبدأ في فعل ما هو أكثر هولًا..

فلقد كان يغادر المرآة في تلك اللحظة في مشهدٍ رهيبٍ ويقترب منها، وقد عاد لمحاولة الإمساك برقبتها، ويداه السوداوان تستطيلان وتمتدّان ناحيتها.

صرخَت في هلع وهي تتراجع برعبٍ شديدٍ وصرخاتها تتواصل، بينما يدا ذلك الكيان مستمرتان في استطالتهما وقد ازدادت سرعتهما تدريجيًّا؛ فالتفتَت سريعًا إلى الباب وقد قررت الهرب رغم أنها كانت عارية تمامًا، ولكن أي عقل هذا الذي يقول إنها يجب أن تنتظر حتى ترتدي ملابسها؟! وهل ينتظرها هذا الشيء؟!

كان هذا حينما اكتشفَت أن الباب لا يفتح!

حاولت عدة مرات دون فائدة؛ فاستدارت برعب لترى يدَي ذلك الكيان وقد اقتربتا من عنقها بشدة؛ فتصرخ صرخة رعبٍ أخيرةٍ بكل قوتها، ثم تسقط فاقدة الوعي.

***

استيقظت (مايسة) لتجد نفسها في فراشها ترتدي روبها وحولها بعض من خدمها وخادماتها وحرسها، لتعتدل صارخةً في هلعٍ:

- أين أنا؟! وماذا حدث؟

أجابتها خادمتها بذعر:

- لسنا نعلم يا سيدتي، لقد سمعتك تصرخين؛ فهرعت إلى الحمام لأجدك ساقطة أرضًا خلف الباب؛ فقمت بتجفيفك وإلباسك ملابسك قبل أن أستعين بباقي الخدم والحرس لننقلك إلى فراشك.

استعادت (مايسة) ذكرى تلك اللحظات الرهيبة، لتقول في رعب:

- وماذا عن ذلك الشيء في الحمام، وشعري، أين شعري؟!

مدت يدها بحركةٍ غريزيةٍ تجاه شعرها لتجده في موضعه، بينما ينظر خدمها لبعضهم البعض، قبل أن تقول خادمتها بحيرة:

- أي شيء يا سيدتي؟! وما بال شعرك؟!

نظرت لها (مايسة) برعبٍ وهي تسألها:

- ألم تلحظي أي شيءٍ في الحمام؟ ألم يوجد أي شخصٍ فيه؟

هنا قال أحد حرسها بقوة:

- سيدتي، لا يجرؤ أي مخلوق على الولوج إلى داخل سور القصر إلا بعلمنا، ولم يوجد أحد بالطابق بأكمله، لقد قمنا بتفتيشه جيدًا كإجراء احترازي.

نظرت إليهم في حيرةٍ قبل أن تعاودها عصبيتها وهي تهتف:

- حسنًا، اغربوا جميعًا عن وجهي الآن.

هرع الجميع مغادرين الغرفة ومتسائلين عما حدث لسيدتهم، بينما رقدت هي في فراشها متسائلة عن حقيقة هذا الذي شاهدته وعاصرته، وهل هو حقيقة أم مجرد أوهام؟

نهضت متجهة إلى المرآة متطلعة إلى شعرها، وابتسمت في سعادةٍ عندما وجدته كما هو على رأسها، ولكن ابتسامتها هذه تجمّدَت على

شفتيها وتحوّلَت إلى شهقة رعب خافتة وهي تتراجع في هلع؛ فلقد رأت حول رقبتها عشر علامات حمراء.. عشر علامات تعني أن شخصًا ما -أو شيئًا ما- حاول خنقها بالفعل!

***

سارت (مايسة) في طريقٍ مظلمٍ تمامًا وهي تتحسس خطواتها ولا تستطيع رؤية أي شيء من حولها، وتتساءل عما أتى بها إلى هنا، وكيف كانت بداية ذلك الطريق؟! ولكن دون فائدة؛ فذاكرتها بدت أشبه بصفحة بيضاء، بل صفحة سوداء بلون ذلك الظلام من حولها.

بدا لها أن ذلك الظلام لا نهاية له، ولكنها رأت على البعد نقطة بيضاء أخذت في الاتساع قليلًا قليلًا، حتى تحوّلَت إلى دائرة كاملة الاستدارة من الضوء، أخذت تكبر شيئًا فشيئًا وهي تقترب منها.

بدأت (مايسة) بالإسراع بلهفة تجاه ذلك الضوء بدورها، حتى اتضحت لها حقيقته أخيرًا؛ فاتسعت عيناها انبهارًا.

فلقد كانت أمامها حديقة غناء كبيرة واسعة تمتلئ بالأشجار والزهور الجميلة، بينما بعض الطيور والفراشات رائعة الجمال تتنقّل فيما بينها، ونهر صغير يسير وسطها وينبعث منه صوت خرير هادئ، وتمتلئ الأشجار بالفاكهة من كل صنف ولون.

أخذت (مايسة) تسير بين أرجاء تلك الحديقة الرائعة وهي تتناول من فاكهتها التي كان طعمها شهيًّا للغاية.

لكنها بعد لحظات سمعَت ذلك الصوت من ورائها.. صوت خوار مع زمجرةٍ وحشية.

التفتت لترى ذلك الكيان الأسود مرة أخرى خلفها مباشرة، بينما يده السوداء ترتفع في الهواء وتلطمها لطمةً قويةً؛ فتسقط صارخة على الأرض و...

ولكنها لم تجد أرضًا تحتها! فلقد فوجئت بجسدها يسقط في حفرة لم تعلم من أين أتَت.

حفرة عميقة للغاية جوانبها سوداء تتخللها الطحالب الخضراء، ويبدو في نهايتها نهر.. نهر من الحمم.. حمم حمراء متوهجة يقترب منها جسدها بسرعةٍ فائقة.

صرخت بذعرٍ وهلعٍ وهي تشيح بيديها وقدميها في الهواء محاولة التشبث بأي شيء، ولكن جسدها استمر في الهبوط و...

واستيقظَت مرة أخرى في فراشها لاهثة.

استيقظَت لتجد رأسها مصابًا والدماء قد أغرقَت وسادتها وجزءًا من الفراش؛ ما يعني أن حلمها قد تحول إلى حقيقةٍ خرجَت معها إلى عالم الواقع مرة أخرى!

***

لم تنَم (مايسة) للصباح، وجعلت خادمتها تسهران معها في غرفتها بعد أن جعلتهما تقومان بتضميد جرح رأسها.

ظلت طيلة الليل تفكر قبل أن تنصحها إحدى خادمتيها مترددة بأن تأخذ إجازة من العمل، لربما يكون الإرهاق والتوتر سيب هذه الحالة التي هي عليها.

فكرت (مايسة) في حديث الخادمة، قبل أن تقول بنفسها إنه ربما بالفعل يكون لدى الفتاة حق، وربما أنها هي نفسها التي تفعل هذه

الإصابات بنفسها بدون أن تدري، وربما يكون إرهاق العمل المستمر وتوتره هما السبب؛ فقرّرَت بالفعل أخذ إجازة والذهاب إلى الشاليه الذي تمتلكه بالساحل الشمالي.

وهكذا وفي خلال ساعتين كانت قد وصلَت إلى الشاليه برفقة حراسها الذين انتشروا حوله كالعادة لتأمينه، ولكن من خارج الأسوار هذه المرة كما أمرتهم هي؛ حيث كانَت تريد الخصوصية التامة هذه المرة.

اتّجهَت (مايسة) فور دخولها وتغيير ملابسها ناحية الفراش؛ لتغرق في نومٍ هادئٍ دون أحلامٍ مزعجةٍ هذه المرة.

استيقظَت ونظرت لساعتها لتجد ساعتين قد مرتا على نومها؛ فقررت الخروج للتمشي على الشاطئ الخاص بالشاليه قليلًا لإراحة أعصابها، وقد بدأت بالفعل تقتنع بفكرة أن كل ما يحدث لها سببه تعب الأعصاب.

كانت الشمس قد بدأت في الغروب عندما بدأت تتمشَّى على طرف البحر، مستمتعةً بملامسة قدميها للموج الهادئ الذي أخذ يضربها برفق.

كان كل شيء هادئًا رومانسيًّا رائعًا، ولكن...

ولكن كل هذا لم يستمر؛ فلقد أمسك شيء ما بقدمها فجأة.. شيءٌ طريٌ لزجٌ قوي، جذب ساقها بعنفٍ لتسقط على وجهها على الشاطئ، ثم يبدأ بسحبها داخل المياه.

صرخَت بأعلى صوتها برعبٍ وجسدها يُسحَب بداخل المياه، حتى أحست بها تحيط بها من جميع الجوانب.

التفتَت لترى ما الذي يجذبها؟! لينتفض جسدها بأكمله بعنفٍ وهي غير قادرة على الصراخ؛ فلقد ظهر أمامها أخطبوطٌ عملاقٌ أسود ذو عينين حمراوين، وقد أمسك بها بإحدى أذرعه وقد تلتها أذرع أخرى في

تلك اللحظة بالذات، ليمسك بها بأربعة أذرع وهو يقرّب جسدها من فمه العملاق هامًّا بالتهامها حية.

وهنا لم تستطع كتمان صرختها أكثر من ذلك، فتحت فمها بصرخةٍ دون صوتٍ حيث امتلأ فمها بالماء الذي غمر رئتيها؛ فبدأت بالإحساس بالغرق في نفس الوقت الذي اقترب فيه جسدها من فم الأخطبوط، و...

واستيقظت في فراشها.

استيقظت لتجد جسدها وملابسها مبتلة عن آخرها، وكأنها قد خرجت من أعماق البحر بالفعل.

أخذت تنظر لنفسها بذهول، ثم بدأت في البكاء غير مصدقةٍ نجاتها وغير مصدقةٍ ما يحدث لها، وهل هو حقيقي فعلًا؟ ولماذا يحدث لها هي ذلك بالذات؟

وعندما هدأت قليلًا أخذَت تفكر بعمق محاولة تمالك أعصابها، ثم اتّخذَت قرارًا حاسمًا ووضعته موضع التنفيذ على الفور.

وبعد نصف ساعة فوجئ حرس (مايسة) الخاص بها تستقِلّ سيارتها وتخرج من الشاليه آمرةً إياهم بعدم اتباعها وبقائهم في أماكنهم بانتظار أوامرها.

وبينما تبتعد كان الحرس يتبادلون نظرةً مندهشةً غير مستوعبة؛ حيث إن هذه كانت أول مرة تخرج فيها (مايسة صادق) وتذهب لأية جهة دون حرسها الخاص الذي يصاحبها كظلها في كل مكان.

وأخذوا يتساءلون.. ترى إلى أين ذهبَت؟

***

توقفت (مايسة) بسيارتها الفارهة في إحدى المناطق الشعبية، وسط شارعٍ ضيقٍ استوعبها بالكاد، وهبطت منها أمام العيون الفضولية، وولجت من باب إحدى البنايات القديمة؛ لتبتسم الشفاه وتغمز الأعين في فهم.

وبداخل البناية اتجهت (مايسة) إلى شقة بالدور الأرضي، بابها مفتوح؛ فتدخل وتسأل فتاةً بسيطةً جالسةً خلف مكتبٍ قديم:

- هل الشيحة (إحسان) موجودة؟

تقول لها الفتاة:

- لقد ماتت الشيخة (إحسان) منذ شهرين، ولكن توجد مكانها ابنتها الشيخة (زهرة) وهي مثلها و أفضل.

اتسعت عينا (مايسة) ذهولًا مع هذا الخبر المفاجئ؛ فالشيخة (إحسان) كانت أملها الأخير في مواجهة تلك الأحداث الغامضة.

وهنا سمعت في جهاز اتصال داخلي صوتًا أنثويًا رقيقًا يقول بهدوء:

- دعي (مايسة) هانم تدخل يا (فاطمة)، وقولي لها إن مشكلتها ستحل بإذن الله.

ظهرت علامات الدهشة على وجه مايسة، بينما ابتسمت السكرتيرة قائلةً لها:

- أعتقد أنك (مايسة) هانم، تفضلي بالدخول، الشيخة (زهرة) بانتظارك.

وبدافع يأسها، وانبهارها أيضًا من معرفة تلك الشيخة الجديدة باسمها، دخلَت (مايسة) لغرفتها لتجدها جالسة بالضبط كما كانت

تجلس والدتها قديمًا على وسادةٍ كبيرةٍ في نهاية الحجرة، مواجهةً مدخلها تمامًا، وأمامها مبخرة تطلق بخورًا كثيفًا ملأ الأجواء.

تقدمت (مايسة) ببطءٍ لتتضح لها في الجالسة ملامح رقيقة لفتاة شابة في بدايات عقدها الثالث على أقصى تقدير، رائعة في الجمال، ترتدي جلبابًا أبيض مزركشًا وتضع غطاءً بسيطًا للرأس، وتبتسم لها ابتسامةً هادئةً وهي تقول:

- لماذا تخافين مني يا سيدة (مايسة)؟ هل لأني صغيرة أم لأنك اعتدتِ التعامل مع والدتي الراحلة؟

جلست أمامها (مايسة) بدهشة، قبل أن تقول بابتسامةٍ متوترة:

- يبدو أنك تعلمين الكثير يا شيخة (زهرة).

ابتسمت الفتاة قائلةً:

- أكثر مما تتصورين يا سيدة (مايسة).

ثم استطردَت سريعًا:

- والآن احكي لي مشكلتك.

التقطَت (مايسة) نفسًا عميقًا قبل أن تبدأ برواية كل شيء للشيخة (زهرة) وبكل التفاصيل، ثم أنهت حديثها بقولها متضرعةً:

- أرجوكِ يا شيخة (زهرة)، خلصيني من هذا الرعب وسأدفع لكِ أي مبلغ تريدين.

فكرت (زهرة) قليلًا قبل أن تقول ببطء:

- هذا سحر قوي بالفعل، ولكن اطمئني، سنقوم ببعض الجلسات وستُحلّ مشكلتك بعون الله.

ولكن وبعد ثلاث جلسات مع الشيخة (زهرة) لم تتخلَّص مايسة من أحلامها المزعجة التي بدأت تأتيها حتى وهي مستيقظة، حيث خُيّل لها في اجتماع مجلس الإدارة الأخير تحول أعضاء المجلس إلى وحوش سود بعيون حمر قاموا بمهاجمتها، ولم تفِق إلا وهي على الأرض وأعضاء المجلس حولها ينظرون لها في دهشة وجزع، وعندما سألتهم عما حدث قالوا لها إنها نهضت صارخةً فجأة وهي تنظرلهم برعب قبل أن ترتمي على الأرض وهي تصرخ: "اتركوني، اتركوني، لا تقتلوني"، وذلك قبل أن تعود لرشدها فجأة.

وهكذا وفي الجلسة التالية صرخَت (مايسة) في وجه الشيخة (زهرة) بأن الجلسات لم تُفِد، ولا بد لها من التصرف بأي ثمن؛ فقالت لها الشيخة (زهرة):

- إن السحر المستخدم سحر أسود قوي جدًّا، ويقوم عليه جنٌّ من أقوى عشائرالجان، ولقد حاولت مواجهته، ولكنني فشلت.

صرخت (مايسة):

- ماذا؟! أتعنين أنني سأظل هكذا إلى الأبد؟

ترددت (زهرة) وهي تقول:

- يوجد حل، ولكن...

شعرت (مايسة) بالأمل؛ فهتفت بلهفةٍ:

- ولكن ماذا؟ قولي لي.

قالت (زهرة):

- ولكن ثمنه غالٍ.

قالت (مايسة) بحماس:

- سأدفع كل ما تطلبين.

قالت (زهرة) بصوت حاسم:

- حتى لو كانت كل ثروتك؟

تراجعت (مايسة) بذعرٍ وذهولٍ كبيرين مع سماعها الكلمة، وعجزت عن النطق للحظاتٍ قبل أن تهمس باستنكار:

- ماذا تقولين؟! ثروتي بأكملها! أتطلبين ثروتي بأكملها أيتها الحمقاء؟

قالت لها زهرة بصرامة:

- حاذري في كلماتك معي؛ فغضبي ليس هينًا، ثم إنني لستُ مَن سيأخذ هذه الثروة.

أشاحت (مايسة) بذراعها قائلة بسخرية عصبية:

- آه، سيأخذها (الأسياد) أليس كذلك؟ جميعكم تقولون هذا، جميعكم نصابون محتالون.

أشارت (زهرة) بيدها تجاه (مايسة) بغضب واضح؛ فشعرت تلك الأخيرة بلطمةٍ هائلةٍ في صدرها انتزعتها من مكانها وألقتها أرضًا في عنفٍ، بينما تقول (زهرة):

- قلت لكِ حاذري في كلماتك.

نهضت (مايسة) في ألمٍ وهي تنظر لـ(زهرة) في خوف، قبل أن تقول في عصبية:

- إذًا قولي لي من سيأخذ هذه الأموال.

عاد لزهرة هدوءها وهي تقول غامزةً بعينها:

- لأصحابها.

همست (مايسة) بدهشةٍ وهي تمسك بصدرها في ألم:

- أصحابها؟! مَن أصحابها؟ أنا صاحبة الثروة الوحيدة.

قالت (زهرة):

- لا لستِ أنتِ، بل هم، (خليل الديناري) وزوجته و ابنته.

اتسعَت عينا (مايسة) ذهولًا، بينما تابعت (زهرة):

- أتظنين أنني لا أعلم؟ أنا أعلم أكثر مما تظنين كما قلتُ لكِ، أعلم أنك لم تكُوني هكذا منذ البداية، ثريّة تمتلكين الملايين، بل كنتِ مجرد سكرتيرة لـ(خليل الديناري) صاحب الشركات والثروة الحقيقي، و أنكِ حاولتِ كثيرًا استمالته والإيقاع به، ولكن حبه لزوجته و ابنته الطفلة حالا دون ذلك؛ فلجأتِ لوالدتي لكي تقوم بعمل عمل حب لـ(خليل) يجعله يهواكِ، ولكن أمي الراحلة وبذكائها المعهود أشارت عليكِ بأن الأمر أسهل من هذا، ويكفي اختطاف ابنة (خليل) الصغيرة من أمها حتى ينهار وتنهار علاقته بزوجته وينفصل عنها، ولا يجد أمامه سواكِ؛ فيقع في حبائلك بسهولة، ولقد تم تنفيذ الخطة على أكمل وجه؛ فتم اختطاف الفتاة ولم يعثر لها أحد على أثر بعدها؛ ليتهم (خليل) زوجته بالإهمال وينفصل عنها بعد فترة كبيرة من المشاجرات والخلافات، وهنا لم تجدي أنتِ صعوبةً في التسلل إلى مشاعره وقلبه المفجوع، ونجحتِ في الإيقاع به وتزوجتِه، وفي خلال عدة أعوام استطعتِ بدهائك وخداعك وسيطرتك عليه الاستيلاء على جميع أمواله قبل أن تعطيه منها جزءًا بسيطًا نظير تطليقه لك، ثم تناسيتِه تمامًا، هل تذكرتِ الآن؟

نظرت لها (مايسة) بذهول؛ فجميع ما ذكرته كان حقيقيًّا تمامًا، لقد فعلت كل هذا بالفعل، حيث كان تطلعها منذ كانت صغيرة هو الثروة والسطوة والقوة التي تصنعها الأموال؛ فقد عاشت طفولةً بائسةً في حيٍّ

فقيرٍ هو نفس الحي الذي تقطن به الشيخة (زهرة)، ومن قبلها والدتها (إحسان)، ولقد كرهَت حياتها تلك منذ صغرها، وصمّمَت على أن تكون يومًا ما أغنى سيدة في مصر مهما كلفها هذا، وها هي قد حقّقَت هذا بالفعل، لم تلتفت للضحايا الذين دهستهم بقدميها في طريقها، والآن يُطلب منها أن تتخلى عن كل هذا، هذا مستحيل ولن يحدث أبدًا.

هتفت:

- مستحيل، ليس بعد كل هذا أتنازل عن أموالي، مستحيل.

قالت (زهرة) بصرامة:

- هذا السحر الو اقع عليك مرتبط بإرجاع الثروة لأصحابها، وربما هم أنفسهم من قاموا بعمله لكِ، ولقد حاولتُ كثيرًا إيقافه، ولكن لا توجد وسيلة أخرى لهذا، إما ثروتك بأكملها وإما أن تظلي هكذا، ولستُ أضمن ما قد يحدث بعد هذا.

كررت (مايسة) صارخةً:

- مستحيل، مستحيل أن أتنازل عن ثروتي، حتى ولو طاردتني شياطين الدنيا بأكملها.

وتركت المكان و انصرفت غاضبةً، لتستقل سيارتها وهي تهتف لنفسها بشراسة:

- لن يحدث هذا أبدا، ليس بعد أن وصلت إلى ما وصلت إليه أتنازل عنه، لن توقفني مجموعة من الأحلام البلهاء عن الاستمرار فيما وصلت إليه بعد سنوات الشقاء والحرمان.

كانت قد تجاوزت الحي الشعبي وصعدت بسيارتها للطريق السريع المجاور له وهي تفكر في كل ما حدث، عندما حانت منها التفاتة إلى مرآة

السيارة الداخلية؛ لتصرخ في رعب؛ فلقد شاهدت ذلك الكيان الأسود البغيض جالسًا في المقعد الخلفي، وعيناه تتوهجان بنيران حقيقية هذه المرة، ويداه تتجهان ناحية عنقها.

صرخت مرةً أخرى وهي تهتف:

- لا، اتركني.. اتركني.

ومالت بجسدها بحركةٍ غريزية للابتعاد عن يديه؛ فاختلَّت عجلة القيادة بيدها ومالت السيارة نفسها على نحوٍ مخيفٍ قبل أن ترتطم بحاجز الطريق في عنف، لتتحطم مقدمتها تمامًا، ثم تدور حول نفسها عدة دورات، قبل أن تنقلب على ظهرها وإطاراتها تدور في جنون.

***

بعد عدة أيام:

ابتسمَت (زهرة) في هدوءٍ وهي ترى (مايسة) تدخل عليها وقد أحاطَت الضمادات برأسها، وعُلِّق ذراعها الأيسر برقبتها بحامل ذراع، وقد تم تجبيسه؛ لتقول لها (زهرة) بهدوءٍ يماثل ابتسامتها:

- حمدًا لله على سلامتك، لقد تدخّلتُ بقوتي لأحميكِ من الحادث، لقد كنتُ أتوقّع أن يحدث شيء مماثل؛ فأرسلت معكِ من يحميكِ في الخفاء، ولولا هذا لقُضِي عليكِ في الحادث، ولكنني لستُ أضمن أن يستمر هذا الأمان كثيرًا؛ فقوّتي لا تُماثل قوة من يترصّد لك.

نظرَت لها (مايسة) قبل أن تقول بصوت منكسر:

- ألا توجد وسيلة أخرى؟ أرجوكِ ابحثي عن وسيلة أخرى.

قالت (زهرة) بحسم:

- لا توجد وسيلة أخرى.

قالت (مايسة):

- ولكن أين أصل الآن لـ(خليل الديناري) أو زوجته؟

- هذا الأمر سهل، اتركيه عليّ، ولكن هل أفهم من هذا أنكِ قد و افقتِ؟

نكسَت (مايسة) رأسها للأرض وهي تقول دامعة:

- نعم و افقت؛ فحياتي أهم من ملايين الدنيا بأكملها.

***

وبعد عدة أيام جلسَت (مايسة) في حجرة مكتبها وأمامها (خليل الديناري) الذي كان يبتسم ابتسامةً متشفيةً بعد أن تنازلَت له عن جميع أموالها وممتلكاتها، حتى تلك التي لم تكن موجودة حين أخذت منه ثروته التي ضاعفَتْها على مدار السنوات التالية، حيث قالت لها (زهرة) إن الشرط هو الاستغناء عن جميع الثروة وليس جزءًا منها فقط.

وبمجرد انتهائها من التوقيع على آخر ورقة في حضور محاميها ومحامي خليل ومندوب الشهر العقاري الذي أتى بدفاتره لتسجيل الاستغناء فورًا حسب اشتراط (خليل) نفسه، ضحك (خليل) بصوتٍ عالٍ مع دخول طليقته إلى الحجرة وهي تضحك أيضًا؛ فتتسع عينا (مايسة) ذهولًا.

ليس لضحك (خليل) وليس لظهور طليقته!

بل لمن ظهرت مع الطليقة والأخيرة تتأبط ذراعها وهما تدخلان معًا للحجرة..

الشيخة (زهرة)!

(زهرة) التي كانت تضحك هي الأخرى قائلةً:

- مفاجأة، أليس كذلك؟

أشار (خليل) لموظف الشهر العقاري والمحاميَين بالانصراف؛ فانصرفوا سريعًا، بينما تهمس (مايسة) بذهول:

- الشيخة (زهرة)! هل تعاونت معهم؟ هل اشتروكِ؟

ضحكَت (زهرة) ضحكةً عاليةً وهي تقول بسخرية:

- تعاونت معهم؟! بل أنا صاحبة الفكرة من الأساس يا صديقتي، أنا من فعلتُ كل هذا لأعيد أموال أمي و أبي إليهما بعد أن سرقتِها أيتها الحقيرة.

انهارت (مايسة) على مقعدها بذهولٍ وهي تقول:

- أبوك وأمك!

قال (خليل) بمقت:

- نعم، نحن أهلها، أبوها وأمها اللذين حرمتهما منها طوال كل تلك السنوات بخطّتِكِ الحقيرة.

أكملت (زهرة):

- نعم أنا ابنتهما، ابنتهما التي تربَّت طيلة عشرين عام مع الساحرة (إحسان) على أنها والدتها، أنا الابنة المخطوفة التي احتفظت بها الساحرة لنفسها وعلّمَتها كل ما تعلم لتكون خليفتها من بعدها، ولولا استيقاظ ضميرها قبل وفاتها بقليل واعترافها لي بخطّتكِ الدنيئة، وصفقتكِ الملعونة معها، لعشتُ طيلة عمري محرومة من أبي وأمي الحقيقيين، أنا الابنة التي قرّرَت استعادة أبيها وأمها، واستعادتهما لبعضهما البعض، وإرجاع أموالهما منكِ، أنا التي قمتُ بتسليط حرسي من الجان عليكِ ليجعلوا حياتك جحيمًا، وكنت متأكدة من لجوئكِ إلى

والدتي عندما تتقطع بك السبل، وكنت في انتظارك، والباقي تعلمينه بالطبع.

نهضَت (مايسة) من مقعدها، وهجمت عليها بعنفٍ صارخة:

- أيتها الحقيرة المخادعة، سوف...

أشارت (زهرة) بيدها تجاهها؛ فشعرت (مايسة) بلطمةٍ أكثر قوةٍ من سابقتها في صدرها تضربها بالحائط من خلفها بعنفٍ؛ فتسقط متألمة، و(زهرة) تقول:

- إياكِ أن تنسي مَن أنا وما هي قوتي، وما الذي أستطيع فعله.

وهنا هتف (خليل):

- والآن أيتها الحقيرة عودي إلى الشارع الذي جئتِ منه؛ فأنت تستحقّينه.

بكت (مايسة) في انهيار، في نفس اللحظة التي قالت فيها زوجة (خليل) في تعاطفٍ زائف:

- لا، لا تفعلا بها هذا؛ فهي قد اعتادَت معيشة القصور، أنا أقترح عليكما وعليها وظيفة جديدة لها بمرتب لن تجد مثله أبدًا.

نظرت لها (مايسة) ولم تفهم.

لم تفهم إلا وهي تدخل من باب القصر، قصرها، مرة أخرى؛ لتستلم وظيفتها الجديدة لدى أسرة (خليل الديناري) مالكة القصروكل شيء..

تستلم وظيفتها كخادمة.

تمت بحمد الله

(أرواح هائمة)

سالي إبراهيم

أين نذهب بعد الموت؟ يقال أن ما بين موت الإنسان وبعثه توجد حياة أخرى وتسمى بـ"البرزخ"، وهي الفترة التي يقضيها الميّت حتى يُبعَث ليحاسب.

كيف نحيا بعد الموت؟ أو ما شكل الحياة بعد الموت؟ كيف نستمر وفي أي صورة؟ كيف تكون حركتنا وكيف نتواصل؟ وهل ندرك كينونتنا أم لا؟!

تلك الأسئلة كانت تدور بذهن "مراد"، وكان عازما على البحث عن إجابات لتلك الأسئلة.

"مراد" شاب في الثلاثين من عمره، وحيد أبويه، فقَدَ أحدهما وهو في سن العشرين، والآن هو يعيش مع والده، شيخ كبيرٌ مُقعدٌ، يلزم كرسيًّا متحركًا منذ وفاة أمه، يرعاه "مراد" ويدبر أموره.

يعمل "مراد" في إحدى الشركات الاستثمارية بعد أن أنهى دراسة المحاسبة، كانت حياته روتينية تمامًا، يصحو من نومه، يقضِي حاجات والده، ثم يذهب إلى العمل، ويعود في آخر اليوم ليستكمل ما بدأه قبل أن يذهب من الوقوف على رعاية والده.

لم يؤمن "مراد" يومًا بأي شيء يخص عالم الماورائيات؛ فقد كان شخصًا عمليًّا، لا يهتم إلا بما يراه رأي العين، وذات يوم تأخّر في العمل حتى غابت الشمس، و أثناء عودته كان شاردًا في الطريق، ولم ينتبه إلى تلك السيارة المسرعة إلى أن اصطدم بها؛ فأطاحت به ثلاثة أمتار في الهواء، ثم سقط أرضًا مغشيًّا عليه، كان الطريق خاليًا من المارة،

والسيارة التي صدمته كان صاحبها مذعورًا؛ فانطلق مبتعدًا دون أن يكترث لما فعله، مروقت قبل أن يفيق "مراد" من الصدمة، لكنه انتبه إلى أنه تأخر على والده؛ فأسرعِ الخُطَى ليصل إلى البيت، وبمجرد أن دلف من الباب وجد والده نائمًا؛ فبدا على وجهه علامات الارتياح، ودخل حجرة المطبخ ليجهز له الغداء، وبالفعل جهزه ووضع الطعام بالقرب من سرير والده كالعادة حتى يتناوله عندما يستيقظ، لكنه عاد بعد فترة إلى الحجرة ليجمع الأطباق، لكنه وجد الأطباق كما هي، لم يتناول والدُه شيئًا على الإطلاق، وكان صامتًا كالقبر، ناداه "مراد" فلم يرد عليه؛ ففهم "مراد" أن والده غاضب منه لأنه تأخر عليه.

ففكر أن يُعدّ له فطيرة الليمون التي يعشقها، وبالفعل أعدها، وكانت رائحتها زكية، ومنظرها شهيّ، ووضعها بالقرب من والده دون أن يلفِتَ انتباهه لعلها تكون مفاجأة سارة، نظر إليها الوالد ولم يأبَه لها مطلقا، حزن مراد من موقف والده حتى أنه امتنع عن الطعام هو الآخر، لم يأتِه النوم في تلك الليلة وبات يفكّر في كل ما حدث، أي جرم ارتكبَه حتى يعامله والده بتلك القسوة؟! هل تأخر إلى هذه الدرجة حتى يقاطعه والده ولا يحادثه مطلقًا؟! وشعر بالحنق، حتى أنه قرر أن يتحدث معه ويفهم منه ما هو السر الخفي وراء غضبه ومقاطعته له.

دخل على والده فوجده يبكي؛ فجرى إليه مسرعا، وسأله:

- أبي.. ماذا بك؟! لماذا تبكي هكذا؟! هل أنت غاضب مني إلى هذا الحد حتى لا تأكل أو تشرب من يدي؟

وهنا نظر إليه الأب، وقال:

يا بني.. أنا لا أبكي بسببك، و إنما أبكي عليك.

فاندهش مراد:

- لماذا يا أبي؟!

فأجاب:

- منذ أن دخلتَ البيت وقد عرفتُ ما حدث؛ فكتمت دمعي، وغلبني الصمت، فلم يعد بيدي شيءٌ لأفعله، وعرفتُ وقتها أني فقدتُ ابني وصرتُ وحيدًا.

انهار "مراد" وسأله:

- لماذا تقول ذلك يا أبي؟ إنك تقتلُني بهذه الكلمات.

وهنا قال الأب:

- كيف أقتلُك و أنت مقتول بالفعل!

نزلت الجملة عل سمع مراد كالصاعقة:

- أبي.. ماذا تقول؟! انظر إليّ.. أنا ابنك، لا يمكن أن تنبذني لمجرد أني تأخّرتُ عليك دون عمد، أنت لا تعلم ماذا حدث لي.

وهنا تذكر "مراد" الحادث، تلك السيارة التي صدَمَته وذلك السائق الجبان الذي تركه وهرب، وتذكر جزءًا كان مشوّشًا في ذهنه؛ ذلك الجزء عندما رأى نفسه مضرجًا في دمائه بينما كان يغادر مكان الحادث، كيف نسِيَ أنه رأى نفسه ملقًى على الأرض وسط بركة من الدماء؟! إن كنت أشاهد نفسي.. فمن أكون؟!

وهنا انفجر والده في البكاء مرة أخرى، وقال لـ"مراد":

- أعلم أنك جئت لتودّعني، لكني لا أتخيل حياتي من دونك؛ فأنتَ من تبقَّى لي بعد أن رحلَت والدتك.

وهنا أدرك "مراد" أنه.. نعم إنه شبح.. روح هائمة، جاء ليُلقِي النظرة الأخيرة على والده قبل أن يرحل لعالم لا يعلم عنه شيئًا، ربما أخيرًا سوف يجد إجابات لتلك الأسئلة التي كانت تدور في ذهنه.

هم "مراد" بالرحيل، لكنه وجد من يمسك بيده.. ما هذا؟!! أبي.. إنك تقف على قدمَيْك.. إنك تستطيع المشي.. أنا لا أصدق عيني.. أنا سعيد لأجلك.

قال الأب:

- لم يعد لي أحد في هذه الحياة؛ لهذا قررتُ أن أرحل معك يا بني.

وهنا فرح مراد كثيرًا واحتضن والده، وذهبا متعانقيَن، وقبل أن يرحلا التفَتَ الأب ليودع جسده المُلقَى على الأرض بجوار الكرسي المتحرك وفي يده علبة الأقراص الفارغة.

(القطط)

بسمة فايق

يقطن حازم وحاتم الأخوان في قصر والدهما بعد موته.

حدث اليوم..

بينما كنتُ أُعدّ بعض الطعام في المطبخ، لمحتُ قطة تدلف إلى المطبخ.

اندهشتُ من هذا الموقف الغريب، كيف نجد قطة داخل المنزل؟!

نهرتها، لا تريد مغادرة المطبخ، اندهشتُ من موقفها الرافض للمغادرة!

هتفتُ سريعًا على (حاتم)، لعلها تكون قطته وأحضرها بدون علمي، جاء (حاتم) مسرعًا نحوها، بمجرد أن شاهدها حتى تراجع للوراء قليلًا.

لم تتحرك من مكانها، سألتُه في لهفة:

- هل أحضرتَ هذه القطة؟!

هز رأسه نفيًا، ثم قال في حيرة:

- لم أحضرها، هذه المرة الأولى التي أشاهدها!

نظرتُ إليها بتمعن، القطة لونها أبيض، وتوجد بعض الخطوط السوداء، لكن اللون الغالب الأبيض، القطة تقف في شموخ وكبرياء.

نهرتها مرة أخرى، نظرات عينيها كلُّها تحدٍّ، شعرتُ بالخوف الشديد، (حاتم) هو الآخر نهرها في قوة، لا تزال موجودة في مكانها، لم تتحرك قيد أنملة.

أخذت ألوّح بيدي في قوة وسرعة، الوضع كما هو.

لوح (حاتم) بيده هو الآخر نحوها.. لم تتحرك.

فجأة انطلق مواء، من مكان قريب جدًا، الصوت يتزايد، يقترب رويدًا رويدًا، أصوات قطط كثيرة، تلفَتُّ حولي، لا أشاهدهم، إذًا من أين يأتي؟!

فجأة هجم القط اللعين على قدم (حاتم)... حاول أن ينبش مخالبَه بها.

صرخ(حاتم) في فزع وهلع، خاصة أنه يخاف كثيرًا من القطط والكلاب.

حاول التخلص منها، لكنها مازالت تنبش مخالبها في قدم البنطلون!

تلفتُّ حولي، أمسكتُ أول شيء أمامي، ثم قذفتها تجاه القطة، ارتطمت في جسدها، لم يبدو عليها التأثّر من اللطمة!

حاول جاهدًا إبعادها عنه، ما تزال تنبش مخالبها، ركلتُه ركلة قوية، حاول حاتم أن ينفُضَ قدمَه، لكنها تمسك في البنطلون الجينز بمخالبها القوية، مخالبها كأنها كلّابات قوية!

هتف (حاتم) في رعب:

- أنقذني يا (حازم) بالله عليك!

وجدتُ أمامي سكّين مطبخ كبير الحجم، أمسكتها و أنا ألوّح بيدي تجاهها، تجاهلتني تمامًا! لم تلتفت تجاهي.

فجأة توقّفَت عن نبش قدم (حاتم).. التفتَتْ تجاهي، حدجَتني بنظراتها الشرسة! لم أُبالي بنظرات عينيها المتوحشة!

أخذتُ ألوّح بالسكين، بدأَت تقترب مني، الخوف يتملّكني!

أفلتَت السكين مني دون قصد، طارَت ثم ارتطَمَت بجسدها، سمعتُ أبشع صوت!!

صوت أجش.. صوتها يختلف عن صوت مواء القطط.

بدأَت تتلوّى في الأرض من آثار الطعنة.

بدأَت في النزيف، ما هذا؟! إنها دماء سوداء اللون!

فرغ فاه (حاتم)!

القطة بدأ لونها يتغيّر تدريجيًّا!

اكتسَت باللون الأسود، يزحف ويغطّي جسدها بالكامل!

لم ينتبِه (حاتم) أن نقطة من الدماء سقطَت على قدمه، نفس ما حدث في جسد القطة، اللون الأسود زحف على قدمه! تحول جسده!

الدماء بدأَت تتجمع مرة أخرى.

فجأة سقط (حاتم) على الأرض، فجأة!

لمحتُهم، شاهدتُ مئات من القطط، عيون كثيرة، أحاطَت بنا من كل جانب، تذكّرت قول الحق: (وهم من كل حدب ينسلون).

عيون..

شرسة..

شريرة..

تلمع..

فجأة لمحتُ دماء (حاتم) الحمراء، تُغرِق الأرض، لا بُدّ أنه أصيب إصابة بالغة.

بدأت الدماء تتحوّل إلى اللون الأسود، ثم بدأت تتحوّل إلى قطط صغيرة سوداء اللون... بعيون سوداء لا بياض فيها وكأنها أعين الشياطين.

مئات من القطط الصغيرة التي تجري على الأرض وفوق الحو ائط.

بدأ جسد حاتم يهتز ويرتعش أثر النزيف، وكأن الروح تكاد تفارقه؛ فبدأتُ أمسك بكتفيه و أنادي عليه ليفيق:

- حاتم.. حاتم.

و هو يغلق عينَيه ويفتحها وكأنه يصارع الموت، ليفتحها مرة أخيرة؛ فيجد وجهي أمام عينيه، فينظر إليّ بتمعن وكأن شيئًا لم يكن، ويقول:

- استيقظ يا حازم.. ما بك؟ هل هو ذلك الكابوس المزعج مرة أخرى؟

أخذتُ أُمعِن النظر في ملامحه لعلي أعِي ما يقول، فإذا بي أرى ظلام الغرفة وقد أنار من جديد، وساد الهدوء بعد أن اختفى مواء القطط، وها أنا ذا مستلقٍ على سريري، ومن فوق رأسي حاتم يحاول إيقاظي.

كان كل شيء ساكنًا فيما عدا ضربات قلبي المتسارعة، التي لم تبرح ترحل عن أرض المعركة.

حاولتُ أن أجمع شتات نفسي، ورددتُ عليه بصوت مذبذب:

- أظن أنه نفس الكابوس بالفعل، ليست نفس التفاصيل بالضبط، ولكنها القطط الثائرة من جديد.

نظر إليّ حاتم في شفقة، وقال:

- أظن أنك يجِب أن تذهب لشيخ، علّه يعرف ما بك أو يدلّك على تحصين يُبعد عنك هذا الكابوس.

- أظنني سأفعل، لم أعُد أطيق ما يحدث كلّما غفلَت عيني للحظات.

في صباح ذلك اليوم توجّهتُ للعمل كعادتي، وقابلتُ زميلي (زين) الذي أبدى قلقه عليّ، ونصحني أن أقابل الشيخ الذي يسكن بجوار منزل جدّته، قائلًا إنه شيخ مبروك وصاحب خطوة كما يُطلِق عليه العامة.

بالفعل اصطحبني زين بعد العمل لنطْرُقَ باب الشيخ وننتظر، حتى فتح لنا شابٌّ في سن المراهقة، كان حفيد الشيخ، وقد سمح لنا بمقابلة جدِّه، وأدخلنا إلى غرفة عتيقة تكاد تكون مظلمة، حيث يدخلها بصيصٌ من النور من الشباك نصف المغلق، وهناك جلسنا ننتظر، حتى سمعنا صوت خطوات قادمة نحو الغرفة، فإذا بالفتى يصطحب جدّه المسن الذي يتكئ على عصاه من ناحية، ويضع يده في يد حفيده من الناحية الأخرى؛ ليسنده ويقوده للأريكة، حيث كانت عيناه تميلان للبياض ويبدو عليه أن نظره ضعيف للغاية.

جلس الشيخ "سلام" أمامنا، وأخذ يُسبّح على مسبحته، ثم تحول التسبيح لهمهمة بكلمات غير مفهومة، وبعد دقائق دخلَت خادمة صغيرة تحمل بيدِها مبخرة من الفخار وقد احتمَى الجمر بداخلها، فما أن وضعته أمام الشيخ حتى قام الفتى بإلقاء بعض البخور عليه، فصاح الشيخ فجأة:

- حي.

فانتفضنا أنا وزين، وامتلأت الغرفة في لحظة بالدخان؛ فصرنا بالكاد نرى بعضنا.

ظل الشيخ يُتمْتِم بكلمات تبدو مألوفة، ولكنها ليست كذلك، وينتظر وكأنه يستمع للرد على مقولته، ثم يسترسل من جديد.

في غضون لحظات بدأ دخان البخور يهدأ ويقِلّ شيئًا فشيئًا، وسمعنا الشيخ يقول:

- بارك الله فيكم وعليكم.

ثم الْتفَتَ ناحيتنا وقال:

- مَن منكم له أخ اسمه يبدأ بحرف الحاء؟

- أنا يا شيخنا، لي أخٌ يُدعَى حاتم.

- عليه ثأر، أنصحُكَ تبتعد عنه الفترة المقبلة كي لا يصيبك ما قُدّر له.

- ماذا تقول يا شيخ؟ أي ثأر وكيف أبتعد عن أخي؟!

- لقد قتل أخوك أحدَ أبناء مملكة الجان، وقد قُضِي عليه بالقصاص، وما هي إلا أيام حتى يواجه مصيره، قتَلَ ولدَهم؛ فهو فداه.

- كيف قتله؟!

- لقد وضع أخاك السم في الطعام؛ فقتل جنّيًا كان يمرح في جسد قطة؛ فوجب عليه الحد.

- لا أعلم شيئًا عن هذا الموضوع، ولكن عليك أن تخبرني كيف أخلّص أخي، لقد حضَرتُ إليك لتساعدني وليس لتنصحني أن أترك أخي يُلاقِي مصيرًا مجهولًا.

- يجب أن يعلم أخوك بالجرم الذي اقترفه ويتوب عنه، ويقدم الفدية بيده، وإلا فلا معين له.

نظر زين إليّ، وقال مهدئًا:

- انتظريا حازم؛ فالشيخ لن يتركنا نمشي دون مساعدة، أليس كذلك يا مولانا؟

هنا صاح الشيخ بصوته الجهور:

- حي، إذًا فليحضُر أخوك الليلة قبل صلاة فجر الغد، علّنا نَفضُّ الخلاف وننقذه مما ابتلاه.

- الليلة؟! لا أعتقد أني أستطيع إقناعه في هذه الفترة الوجيزة، علمًا بأنه لا يؤمن بالعلوم الخفية، هو لا يقتَنِع إلا بالأشياء الملموسة.

- إذًا فلتتركه يلقَى مصيره.

- لا.. لا، سوف أتصرف و أقنعه.

انصرفتُ مع زين و أنا لا أعلم ماذا أفعل، وما أن عدتُ للبيت حتى جلستُ أحاول إقناع حاتم بمقابلة الشيخ.

ظل حاتم يمزح كما توقّعتُ، و أنكر وضعه السم للقطط، وظلّ يخبرني أن هذا الشيخ ما هو إلا نصاب يطمع في بعض الأموال، أخبرتُه أنّه لم يطلب مني مالًا إطلاقًا، و أنه يساعدنا ابتغاء مرضاة الله، ولكنه لم يقتنع وتركني وخرج من المنزل ليقابل أصدقاءَه كما يفعل كل ليلة، انتظرتُ عودته حتى انتصف الليل، وعندما فقدتُ الأمل في عودته أخذتُ سيارتي وقررت التوجّه للشيخ لإخباره أنه يجب عليه مساعدة أخي حتى وإن لم يتعاون معنا، وصلتُ لبيت الشيخ الذي كان في منطقة نائية، تشتهر بوجود المجرمين والخارجين عن القانون، وبالرغم من خطورة الدخول إلى المكان في جوف الليل، إلا أن سلامة أخي كانت عندي أهم من كل شيء.

طرقتُ الباب؛ ففتح لي الشاب الذي رأيته سابقًا، ووجهني لمكان الانتظار، وفي غضون دقائق حضر الشيخ مع الفتاة التي تخدمه، وما أن

أخبرته أن أخي لن يستطيع الحضور حتى طمأنَنِي وأخبرني أن وجودي كافٍ و أنه سوف يبذل قصارى جهده ليساعدنا، وعندما سألتُه عن الأتعاب والمصاريف غضب وأخبرني أنه يساعدني لوجه الله.

لم يحضر الشاب الصغير الجلسة، ولكن الفتاة قامت بإحضار البخور، وغلق أنوار الغرفة، وظل الشيخ يقرأ بعض التعاويذ بصوت جهوري. انتابَتْني قشعريرة وشعرتُ برعب، وأخذتُ أتذكّر الأحلام المرعبة في هذا الظلام وكأني أرى القطط تخرج من أركان الغرفة، امتَدَّت الجلسة لما يزيد عن الساعة والنصف، ما بين قراءة التعاويذ وسَكْبِ الماء في أركان الغرفة وتمرير المبخرة فوق رأسي تارة وعبوري من فوقها تارة أخرى، حتى خارَت قواي وأوشك الفجر على أن يشرق.

أنارت الفتاة أنوار الغرفة، ودخل الشاب إلى مجلسنا وجلس إلى جانب جده، قال الشيخ بصوت حازم:

- الآن تستطيع أن تطمئن، لقد حصّنتُ أخاك بتعاويذٍ وعهود لا يقوَى عليها جان، لقد أنقذتَ أخاك من هلاكٍ محقّق.

- حقًّا يا مولانا؟ انتهت العداوة والثأر؟

- الحمد لله، أنتما الاثنان في أمان الآن، أنتَ قد تخلَّصْتَ من الكوابيس وهو تخلّص من الثأر الذي يطارده.

شكرتُ الشيخ الذي رفض تمامًا تقَاضِي أي أموال، وهمَمتُ بالنزول علِّي أستريح بضع ساعات قبل موعد العمل.

نزلتُ من البيت وتوجّهتُ لمكان سيارتي، ولكنني نسيتُ أين وضعتها من شدة الإرهاق.

لعلي وضعتها بالجهة المقابلة، أسرعتُ للناحية الأخرى من الحارة وبحثتُ فلم أجدها أيضًا، لم أجد أمامي خيارًا إلا أن أعود للشيخ، علّ

الشاب يأتي ليبحث معي، استعجَبَ الشاب عندما فتح لي الباب ونزل معي على الفور ليبحث عن السيارة، ظلَلْنا نبحث حتى أشرقَت الشمس؛ فأخبرني الشاب أنها قد تكون سُرِقَت لكثرة وجود المُجرِمين في المنطقة.

ذهبتُ إلى القسم وحرّرتُ محضرًا بالواقعة، وعدتُ للمنزل في قمة الإرهاق، وجدتُ أخي يجلس في انتظاري وقد اعتراه القلق؛ لأني نسيتُ هاتفي مُغلقًا كل ذلك الوقت.

جلستُ معه وقصصت عليه ما حدث، فما كان منه إلا أنه أخذ يوبّخني ويلومني، وبعدها طلبتُ منه أن يتركني أستريح حتى أستطيع أن أذهب لقسم الشرطة مرة أخرى لأتابع المحضر.

ذهبتُ لغرفتي واستلقيتُ على السرير وأنا في شدة التعب والإرهاق، وأخذتُ أفكر أني خسرت الكثير من أجل حلمٍ يتكرر، وفي لحظات ما بين اليقظَة والنوم أظنّ أنّي سمعتُ صوتًا، وكأنه صوت قطة تحت السرير، ولكنه ليس مواء، هو أقرب لزئير الأسد!

انتبهتُ لعلي أعرف هل هذا حلم جديد أم أنني في كامل يقظتي؟! جلست على السرير ومددتُ يدي بحرص لأرفع الملاءة وأنظر تحت السرير، نظرتُ جيّدًا في الظلام فلم أجد شيئًا، أرخيتُ الملاءة، وما أن أوشكت أعتدل في جلستي حتى قفزَت هرة كبيرة سوداء من الأرض إلى جانبي على السرير، لا أعلم أين كانت أو من أين أتت؟! انتفضتُ من مكاني وقفزت على الأرض، بينما اقشعَرّ جسدي كله.

ظلَّت تنظر إليّ، وهنا تذكرت ما كنت قد نسيت، تذكرت كلمات الشيخ "خُذ يا بني هذا الماء واسكُبه حول المنزل، هذا هو ماء التحصين، لا تنسَ يا بني".

وأخذتُ أتذكّر و أبحث بعيني في أركان الغرفة، ولكنني تذكرتُ ما لم يكن في الحسبان، لقد نسيتُ الزجاجة في القسم.

أخذتُ أتراجع خطوات للخلف لعلي أفتح الباب وأخرج من الغرفة، ولكن مقبَضَ الباب كان ساخنًا وكأنه جمر من نار، حتى أنّي سمعتُ صوت احتراق جلد أصابعي عندما حاولتُ لمسه، سمعتُ أخي قادمًا نحو غرفتي ينادي عليّ؛ فحاولتُ أن أحذره:

- اهرب يا حاتم، اخرج من المنزل فورًا، أنت في خطر.

انحنيتُ لأنظر من فتحة الباب على أخي؛ فوجدتُ حوله العديد من القطط التي لا يراها، وهو قادم نحو الغرفة؛ فتعثر في إحداها وسقط على الأرض، وحاول أن يقوم، ولكن القِطَط قفزت من كل جهة وحاصرته وكأنه فريسة، وهو يضرب بيدَيه يمينًا وشمالًا وكأنه يحارب عدوًّا خفيًّا، يضرب بيديه ضربات في الهواء؛ فلا تصيب القطط المتكالبة عليه، وهو يصيح:

- ما هذا؟! حازم أين أنت؟ انجدني يا حازم.

حاولتُ مرة ثانية أن أمسك المقبض، ولكنه أحرق يدي من جديد؛ فصرختُ من شدة الألم و انحنيت لأنظر من فتحة الباب و أنا أصيح:

- أنا هنا يا حاتم، حاول أن تهرب.

ولكنه لم يكن يسمعني، وكأنّ الصوت بحجرتي معزول تمامًا.

وقفتُ بقلّة حيلتي أنظر لأخي تتحول أطر افه للون الأسود، ومن ثم ينبتُ عليها شعر أسود كثيف، وأخذ جسده ينكمش شيئًا فشيئًا، حتى اتسعت عليه ملابسه واختفى بداخلها، وإذا بقِطٍّ صغير يخرج من وسط الملابس ويموء بصوت رفيع وسط القطط المفترسة الكبيرة، فتُمسِك به أحد القطط وتلتقطه بأسنانها الحادّة، وتصطف خلفها كل القطط التي

كشّرَت عن أنيابها، ومن ثم يهربون في اتجاه الحائط الذي ابتلعَهم وكأنه حائط من دخان.

نظرتُ إلى المقبض فإذا بلونه قد عاد من اللون الأحمر المحترق إلى اللون الأصفر؛ فمددتُ يدي على استحياء ألمسه والعرق يتصبّب من كل جسدي، فإذا به قد برد.

لم أستطع فتحَه بيدي اليُمنى التي تقتلني ألمًا؛ فمددتُ يدي اليسرى وفتحت الباب وخرجت مسرعًا للصالة، لم أجد بها أية آثار للمعركة، إلا ملابس أخي المُلقاة على الأرض، فنزلت على رُكبَتي أتفحّصها والدموع تنهمر من عيني دون إرادتي، وتذكّرتُ قول الشيخ وكأني أسمعه يرن في أذني:

- قتل ولدهم؛ فهو فداه.

الآن صرت أفهم ما قصد منها.

ذات الرداء القرمزي (1)

(هبة حمدي)

كانت تركض وسط شُجيرات شوكية تصيب ذراعَيها وقدميها الحافيتين، وبعض الأيدي تخترقها لتمسك بها، حتى إنها تركت بصمة أصابعها على ذراعها باللون القرمزي الباهت.

لم تجِد من يردّ عليها صراخها بعد أن مرَّت حوالي ساعة من الركض والإرهاق المضين، تطايَرَت أفكارها وهي تحاول أن تتذكّروتعيد ما حدث..

في الليلة الماضية.. كانت تطل بابتسامتها وسط حفلة الشواء مع سبعة من أصدقائِها المقربين وسط القرية المطلّة على شاطئ المنعزل على أطراف مدينتها.

وبعد أن تخطَّت عقارب الساعة الواحدة صباحاً بدأ صوت عواء ذئب في الانتشار من حولهم، على الرغم من أن ذلك المكان لا يوجد به أية حيو انات برية.

بدأ الخوف يتسلّل إلى داخلهم، ولكن أحدهم أخذ يُطمئِن قلوبهم مازحاً بأن تلك الأصوات ما هي إلا دعابة من بعض المرحين بالجوار، أكملوا الحفل وهم مغيّبو الأذهان، ولكن كانت هي لا زالت تتعامل بحذر متأثرة بتلك الحكايات والمو اقف التي يردّدها البعض، خاصّة في حفلات الغابة والشواطئ كما اعتاد البعض.

لم يمر الوقت بكثير حتى عاد العواء مرة أخرى، ولكنه كان عن قرب أكثر من ذي قبل، تطوّعَ أحدهم وطلب بأن ير افقه شخصٌ آخر كي يستكشف مكان الصوت هذا معًا، وبالفعل ذهبا معًا، ليعودا بعد قائق معدودة في ذعر ورهبة وهما يركضان ويرددان في صوتٍ واحد:

- فليهرب الجميع، اهربوا!

شق الظلام كائنٌ يشبه الإنسان، ولكن له رأسان يغطي الفراء نصف جسده العلوي، ولديه مخالب، عيناه حمراوان و أنياب تشبه أنياب الفهد، يكسو جسده رداء قرمزي منقوش بقطرات دماء.

ينقض على الواحد تلو الآخر، يقضم الرقاب وجزءًا من الجسد ليتركه غارقًا في مسبح من دماءه، ويلتفت للآخر. حتى انتهوا جميعًا عداها لصِغَر جسدها النحيل، اختبأَت أسفل كومة من أوراق الشجر والأخشاب، وشخصٌ آخر هرع إلى مياه الشاطئ، وذاب في هدوء حتى انتهى كل شيء.

مع بذوخ الشمس هرعَت إلى الطريق وبرفقتها الناجي الوحيد نحو الطريق العمومي، وقد تسلّل الأمان إلى قلبيهما؛ فقد استوقفا سيارة ليستقلّاها ويهربا من ذلك المكان، تفاجآ بذلك الكائن يُلقِي باللون القرمزي عليهما لتتكرّر المأساة مرة أخرى معهم، ومع ثلاثة آخرين كانوا بداخل السيارة.

كائن الظلام (2)

(هبة حمدي)

صباحُ يومٍ شتوي لم تظهر في سماء شمس اليوم الجديد، تمدّد جالسًا على أريكته التي تتوسّط بهوة منزله، أدركَ حينها نسيانه لإغلاق باب شقته، وعندما أدار وجهه للذهاب لغلقه وجد أمامه ذلك القط الذهبي.

لطالما عبثَ وجهه كلما رآه أمامه في أي وقت؛ فهو يذكره بتلك الليلة منذ أيام...

كان يريد الصعود إلى شقته التي تتوسّط العمارة بعد أن تجاوزت الساعة الثالثة فجراً، ليراه ممدّدًا بطول جسده فوق الدّرَج؛ ليرى خياله منعكسًا على الحائط الأمامي، كمرأة تتمايل في دلع وتصوّب أصابعها نحوه.

اقتربَ منه ليجد وضوح الصورة أكثر فأكثر.. ازداد الخوف بطَرْقِ قلبه بصوتٍ يكاد يكون مسموعًا، أراد أن يقفز إلى خارج العمارة، ولكنه وجد مَن يركض خلفه ويُغلِق الأبواب أمامه، لم يكن يرى أحدًا، ولا زال القطّ ممدد أمامه كما هو، ولكن ذلك الخيال تبدّلَ؛ فقد كان يعكس القط بالفعل، ولكن أكبر حجمًا، وعيناه المنعكسة شديدة الاحمرار، فهل طبيعيّ أن يرى خيالًا بلون عين أحمر فوق الحائط؟!

أخذ يطرق على الباب ويصرخ بصوتٍ أيقظ الحارس وزوجته، وبعد أن وصل إليه تساءَل:

- ماذا بِكَ يا سيدي؟ هل أنت بخير؟

أجابه وهو يرتجف وقد أثلج جسده مما حدث:

- نعم، انظر لهذا القط الذي تفتحون له أبواب العمارة..

نظر بالاتجاه ولم يجد شيئًا على الإطلاق.

لاحقَه بالرد ذلك الحارس وهو يقول:

- لم يزُر عمارتَنا قطٌّ منذ ما يقرب من خمسة أعوام يا سيدي.

نظر له نظرة احتقار وخوف، وهو يقول:

- هل تكذّبُني؟!

ثم أبعده وصعد إلى شقته، ومن ثم لم يترك شقته مرة أخرى منذ تلك الليلة.

تذكّر كل شيء عندما رآه الآن مرة أخرى، وهو ينزل الدّرَج من جديد وهو يترقّب الحائط ويلتفت؛ فمنذ ذلك الحين لم تتركه تلك الهلاوس البصرية والأصوات داخل شقته.

قابل صاحب العمارة وحكَى له عما حدث معه، ولكنه لم يتعجَّب من حديثة، ولم يُعلّق سوى بجملة واحدة:

- عمارتُنا ليس بها حارس.